كلية التربية بقنا
قسم أصول تربية

محاضرات في مقرر تاريخ التربية
الفرقة الثالثة - تعليم عام

إعـــــــداد

د/ آمـال محمـد إبراهيـم إسماعيل
أستاذ أصول التربية المساعد
كلية التربية بقنا - جامعة جنوب الوادي

العام الجامعي ٢٠٢٢/ ٢٠٢٣م

رؤية كلية التربية

كلية التربية بقنا متميزة في مجالات التعليم والتعلم والبحث التربوي بما يخدم المجتمع محليًا وإقليميًا.

رسالة كلية التربية

تسعى كلية التربية بقنا لإعداد خريجين متميزين مؤهلين أكاديميًا ومهنيًا وأخلاقيًا، قادرين على إجراء الدراسات والبحوث التربوية التي تلبي متطلبات سوق العمل باستخدام التقنيات الحديثة، مواكبين للتنافسية محليًا وإقليميًا بما يحقق التنمية المستدامة في إطار قيم المجتمع المصري.

الغايات الاستراتيجية لكلية التربية

١- إعداد خريج متميز أكاديميًا ومهنيًا ملتزمًا بآداب المهنة وأخلاقياتها.

٢- بناء منظومة بحث علمي مواكبًا للمستوى الدولي.

٣- المساهمة الفعالة في خدمة المجتمع وتنمية البيئة المحلية بما يحقق التنمية المستدامة.

الأهداف الاستراتيجية لكلية التربية

١- تطوير سياسات ونظم وآليات القبول بالكلية.

٢- إعادة هيكلة البرامج بما يتفق والمعايير الأكاديمية القياسية القومية.

٣- تحسين البنية التحتية للكلية بما يتفق والمواصفات القياسية لتحقيق ضوابط ومعايير الاعتماد.

٤- تنمية وتعزيز قدرات الطلاب على ممارسة الأنشطة في إطار أخلاقي وصحي.

٥- رفع كفاءة الموارد البشرية بالكلية بما يحقق متطلبات الجودة.

٦- تطوير الخطة البحثية للكلية.

٧- تدويل المجلة العلمية للكلية.

٨- توفير البيئة الداعمة لزيادة الإنتاجية البحثية لأعضاء هيئة التدريس والهيئة المعاونة والباحثين بالكلية.

٩- الارتقاء بأخلاقيات البحث العلمي بالكلية.

١٠- تفعيل المشاركة المجتمعية وتنمية البيئة بما يحقق التنمية المستدامة للمجتمع المحلي.

١١- استحداث وإعادة هيكلة للوحدات ذات الطابع الخاص بالكلية.

١٢- الرعاية المتكاملة لذوي الاحتياجات الخاصة بما يحقق التمكين لهذه الفئة.

مقدمة المقرر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته طلابي وطالباتي الأعزاء من أبناء الفرقة الثالثة تعليم عام بجميع الشعب العلمية والأدبية .

يتألف هذا المقرر من **"سبعة فصول"**، يعالج **الفصل الأول** من المقرر والمعنون : **" تمهيد لدراسة تاريخ التربية "** : مفهوم التربية ، مفهوم الثقافة ، مفهوم تاريخ التربية ، العلاقة بين الثقافة والتربية ، أهمية دراسة تاريخ التربية ، طرق دراسة تاريخ التربية .

ويشتمل **الفصل الثاني** من المقرر والمعنون : **" التربية في ثقافات ما قبل التاريخ "**على : مقدمة عن تلك الحقبة التاريخية ، أهم العصور التي ظهرت فيها ، السمات العامة للتربية فيها .

ويتناول **الفصل الثالث** من المقرر والمعنون : **" التربية في مصر القديمة "** : مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية في تلك الحقبة التاريخية ، مظاهر الحياة الدينية فيها ، مكانة الكتابة والكاتب في المجتمع المصري القديم ، أهداف التربية في مصر القديمة ، مراحل تعليمها ومؤسساتها التربوية ، طرق التدريس والنظام المدرسي في مصر القديمة .

ويعالج **الفصل الرابع** من المقرر والمعنون: **" التربية والثقافة الإغريقية "** بالتحليل: دولة اسبرطة وأشهر سكانها والفلسفة التربوية السائدة فيها ، دولة أثينا وأشهر سكانها وهدف التربية الأثينية و تشريعات سولون التربوية وعناصر العملية التعليمية متمثلة في الطالب والمربي ، الفيلسوف أرسطو وآرائه الفلسفية حول النفس والطبيعة والأخلاق والسياسة ، وأشهر أرائه التربوية .

أما **الفصل الخامس** من المقرر والمعنون: **"التربية في ثقافات العصور الحديثة "** فيناقش: عصر النهضة وأهم سماته وأهم أنواع التربية السائدة في ذلك العصر .

ويتناول **الفصل السادس** من المقرر والمعنون: **"مفهوم التربية وأهدافها في القرن السابع عشر "**: العوامل التي أثرت في تطور مفهوم التربية وأهدافها في القرن السابع عشر ، المذاهب التربوية التي ظهرت في تلك الحقبة ، الفيلسوف فرانسيس بيكون وحياته الشخصية وأفكاره العامة وتأثيره في المجال التربوي .

أما **الفصل السابع والأخير** من المقرر والمعنون: **"التربية في القرن الثامن عشر"** فيتناول : آراء الفيلسوف روسو التربوية من خلال تحليل كتابه " إميل " ، إيجابيات وسلبيات فلسفة روسو التربوية.

وأخيرًا نتمنى من الله أن يكون التوفيق قد حالفني في إعداد موضوعات هذا المقرر، والله ولي التوفيق والسداد.

بيانات المقرر

١- اسم المقرر:

تاريخ التربية

٢- كود المقرر:

ت ر

٣- التخصص:

أصول التربية

٤- الفرقة:

الثالثة تعليم عام

٥- الشعب:

الشعب الأدبية وتتمثل في ست شعب هي : اللغة العربية والدراسات الإسلامية ، اللغة الإنجليزية، اللغة الفرنسية، الفلسفة والاجتماع، الجغرافيا، التاريخ .

الشعب العلمية وتتمثل في أربع شعب هي : الطبيعة، الكيمياء، العلوم البيولوجية والجيولوجية ، الرياضيات.

٦-الفصل الدراسي:

الثاني

٧- عدد الساعات التدريسية:

ساعتان (نظري).

٨- إجمالي درجة المقرر:

(٨٠) درجة تحريري+ (٢٠) درجة أعمال سنة

٩- وقت التدريس ومكانه:

أ- الشعب العلمية : ١٠- ١٢ المدرجات الجديدة (أ) .

ب- الشعب الأدبية: ٨ – ١٠ المدرجات الجديدة (ب) .

١٠- القائم بتدريس المقرر:

أ-الشعب العلمية

د/ آمال محمد إبراهيم إسماعيل

(أستاذ أصول التربية المساعد بكلية التربية بقنا– جامعة جنوب الوادي).

ب-الشعب الأدبية

د/ آمال محمد إبراهيم إسماعيل

(أستاذ أصول التربية المساعد بكلية التربية بقنا– جامعة جنوب الوادي).

١١- الرموز المستخدمة داخل المقرر :

نص للقراءة والدراسة

رابط خارجي.

أسئلة للتفكير والتقييم الذاتي.

الأهداف العامة للمقرر

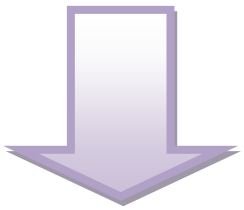

١- تبصير الطالب بمفهوم الثقافة والتربية والعلاقة بينهما.

٢- تعريف الطالب بمفهوم مصطلح "تاريخ التربية" كعلم وأهمية دراسته .

٣- تعريف الطالب بأهم الطرق المتبعة في دراسة علم " تاريخ التربية " .

٤- تنمية قدرة الطالب على استنباط العصور التاريخية التي ظهرت في العصور البدائية .

٥- تمكين الطالب من استخلاص أهم السمات العامة في التربية البدائية أو في ثقافات ما قبل التاريخ .

٦- توعية الطالب بأهم مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية في مصر القديمة .

٧- توعية الطالب بمكانة الكتابة والكاتب في المجتمع المصري القديم .

٨- تعريف الطالب بأهم طرق التدريس والنظام المدرسي في مصر القديمة .

٩- قدرة الطالب على المقارنة بين أثينا واسبرطة في فلسفتهما التربوية السائدة في العصور الإغريقية .

١٠- تعريف الطالب بالفيلسوف " أرسطو " وأشهر آرائه الفلسفية والتربوية .

١١- تمكين الطالب من استخلاص أهم سمات عصر النهضة في الدول الأوربية .

١٢- تمكين الطالب من استخلاص أهم العوامل التي أثرت في تطور مفهوم التربية وأهدافها في القرن السابع عشر .

١٣- تعريف الطالب بالفيلسوف " فرانسيس بيكون " وأشهر آرائه الفلسفية والتربوية .

١٤- تعريف الطالب بالفيلسوف " روسو " وأشهر آرائه التربوية التي تضمنها كتابه في علم التربية " إميل " .

١٥- قدرة الطالب على المقارنة بين إيجابيات وسلبيات فلسفة روسو التربوية .

محتوي الكتـــاب

أولًا : الموضوعات	الصفحة
صفحة الغلاف	١
الرؤية والرسالة والغايات الاستراتيجية لكلية التربية	٢
مقدمة المقرر	٣
بيانات المقرر	٤
الأهداف العامة للمقرر	٥
محتوى الكتاب	٦-٨
الفصل الأول: تمهيد لدراسة تاريخ التربية	٩-١٦
مفهوم التربية	١١
مفهوم الثقافة	١١
مفهوم تاريخ التربية	١٢
العلاقة بين الثقافة والتربية	١٢
أهمية دراسة تاريخ التربية	١٣
طرق دراسة تاريخ التربية	١٤
الفصل الثاني: التربية في ثقافات ما قبل التاريخ	١٧-٢٤
مقدمة	١٩
العصور البدائية	١٩
السمات العامة للتربية البدائية	٢٠
الفصل الثالث: التربية في مصر القديمة	٢٥-٣٨
مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية	٢٧
مظاهر الحياة الدينية	٢٩
مكانة الكتابة والكاتب في المجتمع	٣١
أهداف التربية	٣٢
مراحل التعليم والمؤسسات التربوية	٣٤
طرق التدريس والنظام المدرسي	٣٧

الفصل الرابع : التربية والثقافة الإغريقية	٣٩-٥٦
اسبرطة	٤٢
أثينا	٤٦
الفيلسوف " أرسطو " وأهم آرائه الفلسفية والتربوية	٤٩
الفصل الخامس : التربية في ثقافات العصور الحديثة :	٥٧-٦٦
عصر النهضة	٥٩
سمات عصر النهضة	٦٠
المعنى التربوي للنهضة	٦٤
الفصل السادس : مفهوم التربية وأهدافها في القرن السابع عشر	٦٧-٨٣
مقدمة	٦٩
العوامل التي أثرت في تطور مفهوم التربية وأهدافها في القرن السابع عشر	٦٩
الفيلسوف " فرانسيس بيكون "	٧٦
أفكاره العامة	٨٠
تأثيره في المجال التربوي	٨٢
الفصل السابع : التربية في القرن الثامن عشر	٨٤-٩٤
مقدمة	٨٦
آراء الفيلسوف " روسو " التربوية	٨٧
إيجابيات فلسفة " روسو "	٩٢
سلبيات فلسفة " روسو "	٩٣
المراجع	٩٥

ثانياً : الأشكال والصور

- صورة (١) للعصور البدائية. ٢١
- صورة (٢) الأسرة في مصر القديمة . ٢٨
- صورة (٣) آلهة مصر القديمة. ٣٠
- صورة (٤) ميزان الحسنات والسيئات في الحياة الآخرة من وجهة نظر القدماء المصريين . ٣٢
- صورة (٥) جلسة القرفصاء للكاتب المصري القديم. ٣٢
- صورة (٦) الحكم في اسبرطة . ٤٣
- صورة (٧) لوحة عن مدرسة أثينا . ٤٧
- صورة (٨) الفيلسوف " أرسطو " . ٥٠
- صورة (٩) رأي " أرسطو " في السياسة . ٥٤
- صورة رقم (١٠) النهضة الأوربية في الغرب . ٦٠
- صورة رقم (١١) بعض الرحالة الأوربيين . ٦٢
- صورة رقم (١٢) الفيلسوف " فرانسيس بيكون" . ٧٧
- صورة رقم (١٣) الفيلسوف " جان جاك روسو ". ٨٨
- صورة رقم (١٤) كتاب إميل أو التربية . ٨٩
- صورة رقم (١٥) مبدأ إميل في براءة الطفل التامة . ٨٩
- صورة رقم (١٦) رأي " روسو " في المرأة . ٩٢

الفصل الأول: تمهيد لدراسة تاريخ التربية

ويتضمن العناصر التالية :

١- مفهوم التربية
٢- مفهوم الثقافة
٣- مفهوم تاريخ التربية
٤- العلاقة بين الثقافة والتربية
٥- أهمية دراسة تاريخ التربية
٦- طرق دراسة تاريخ التربية

أهداف الفصل الأول

بعد أن تنتهي من دراسة هذا الفصل، يتوقع منك أن تصبح قادرًا على أن:

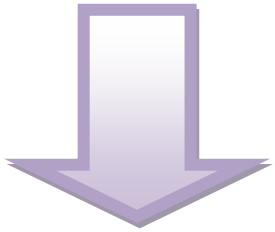

١- تتعرف على مفهوم التربية ومفهوم الثقافة والعلاقة بينهما .

٢- تحدد مفهوم تاريخ التربية .

٣- تحدد أهمية دراسة تاريخ التربية .

٤- تحدد أهم طرق دراسة تاريخ التربية .

الفصل الأول
تمهيد لدراسة تاريخ التربية

مفهوم التربيـة :

تعنى كلمة تربية لفظيًا النمو والزيادة كما تدل على التغذيـة والرعاية ، والكائن البشرى كائن اجتماعي وهذه الخاصية تجعله في أمس الحاجة إلى التربية بهذا المعنى حتى يشارك في الحياة الاجتماعية في مجتمعه ، ويتحمل مسئولياته تجاه نفسـه وتجاه الآخرين ويمارس الأنشطة والأعمال التي يُكلف بها ، ويتعاون مع غيره من أفراد مجتمعه ويسهم في تطوير وتحسين بيئته الاجتماعية ، ومن ثم تصبح التربية كتوجيه اجتماعي عملية متبادلة بين الفرد ومجتمعه تتحقق بفضل مشاركة الأفراد بعضهم مع البعض الآخر في مظاهر الحياة المتنوعة في البيئـة الاجتماعية التي تضمهم .

وبهذا المعنى تصبح ضرورة للوجود الإنساني من خلالها تتكون شخصية الفرد ويتحدد سلوكه واتجاهاته ويكتسب أنماط وأسـاليب التعامل المتفق عليها في مجتمعه ، والتربية أيضًا هي التي تهيئ للفرد البشرى الوسائل المختلفة لتحقيق نموه نفسيًا وجسميًا واجتماعيًا ومعرفيًا ومهنيًا وخلقيًا ، وهى التي تساعده على أن يواجه الحاضر والمستقبل معًا عن طريق تنمية قدرته على التفكير والتطوير والتجديد ، ومن خلالها يشعر بانتمائه وولائه للجماعة التي ينشـأ فيها .

والتربيـة بهذا المعنى عملية قديمة قدم الوجود البشرى لم يخل منها مجتمع من المجتمعات وإن اختلفت في مناهجها وأسـاليبها والقائمين بها ، وأن تعددت صورها وتدرجت من البساطة إلى التعقيد .

مفهـوم الثقـافة

ينصب مفهوم الثقافـة على كل ما صنعه الإنسـان واكتشفه وهو يواجـه الصعوبات التي صادفتـه أثنـاء محاولته إشباع حاجاته الحيوية والنفسية والاجتماعية ، وفيما اكتشـفه من غذاء وما صنعه من مسكن وملبس وما ابتدعـه من عادات وقيم وتقـاليد وفكر وما صنعه من رموز وما عبر عنه من معاني وما نطق به من لغـة وما صاغه وطوره من نظم ، كل هذه العناصر تكون نسيجًا متكاملًا وكلًا مركبًا مرتبطًا ببعضه ارتباطًا عضويًا ، بدأت هذه العناصر بسيطة

غير معقدة ، ومع مرور الزمن وتطور التاريخ تطورت المجتمعات وتطورت ثقافتها ، أي تطورت هذه العناصر يوما بعد يوم ، وتناقلتها الأجيال جيلًا بعد جيل وكان كل جيل يضيف إليها ويجدد في عناصرها ، وتراكمت الثقافة وتعقدت وتشابكت بتعقد الحياة وتطورها وتشابكها .

الثقافة إذا عملية عقلية أساسًا ، بدأت حين بدأ الإنسان يستخدم الرمز ويدون خبراته ، ونظرًا لطابعها الرمزي فقد انتقلت من إنسان لآخر بسهولة ويسر ، وهى- أي الثقافة - أداة الفرد لسد حاجاته الأساسية ولحفظ بقائه .

مفهوم تاريخ التربية

تنصب هذه الدراسة على استعراض ونقد وتقييم نماذج التربية في المجتمعات البشرية ودراسة المراحل التي مرت بها ، وما تضمنته من أساليب ومناهج وأنظمة تعليمية والأفكار والفلسفات التي وجهت التربية وأثرت فيها ، وهذا يقودنا بدوره إلى ضرورة الاهتمام بدراسة الثقافة بمعناها الشامل ، وكذلك دراسة مقومات المجتمع الذي ندرس نموذج التربية فيه ، مقومات سياسية أو جغرافية أو اقتصادية أو دينية .

العلاقة بين الثقافة والتربية

العلاقة بين الثقافة والتربية في مجتمع ما علاقة وثيقة ، فالتربية عنصر هام من عناصر الثقافة ، حيث يشكل النظام التربوي وطريقة تنشئة الأجيال الجديدة أحد الأبعاد والسمات المميزة لثقافة المجتمع ، وتتأثر التربية بالتغيرات التي تحدث في عناصر الثقافة كما تؤثر بدورها في نمو هذه الثقافة وتطويرها أو العكس .

فالنظم التعليمية بما تتضمنه من أهداف ، ومواد دراسية ، وطرق للتدريس ، وإدارة وإشراف ، ومعلمين ، تتأثر دائمًا بالعوامل السياسية والاقتصادية والدينية والفكرية وبكل القيم والاتجاهات والمثل ، والآداب والفنون السائدة في المجتمع الذي يقوم فيه هذا النظام .

وللثقافة دورها التربوي فهي التي تكسب الإنسان الصفة الإنسانية ، تكسبه اللغة والقيم ومظاهر السلوك المرغوب فيها ، وكيفية التكيف مع المجتمع ، وتتحدد شخصيات أفراد مجتمع ما في ضوء الثقافة التي ينمون فيها ، ويعمل المجتمع على نقل التراث الثقافي الذي أوجده الإنسان وجمعه على مر العصور ، وهنا تبرز أهمية المدرسة للقيام بهذه الوظيفة ، إلى جانب

المؤسسات الأخرى كالأسرة ودور العبادة والهيئات وغير ذلك من وسائط التربية غير المقصودة .

أهمية دراسة تاريخ التربية

إن دراسة تاريخ التربية عنصر هام لا يستغنى عنه المهتمون بإدارة التعليم وتنظيمه وذلك عند مناقشة مشكلات التعليم وتقويم النظم الحالية بل وعند التخطيط للمستقبل ولا شك أن العودة إلى تاريخ التربية يؤدى إلى حسم كثير من المشكلات التعليمية الحالية والوصول إلى الحلول المناسبة لها .

ثم إن فهمنا للحاضر لا يكتمل بدون الاطلاع على الماضي ودراسته وربما كان هذا الطريق آمن عندما يحتم الصراع والتناقض بين الجديد والقيم ، فمن المحتمل أن دراستنا للماضي قد تحد من اندفاعنا وراء كل جديد براق .

ويرى " باطس " أن دراسة تاريخ التربية توضح لنا أمرين :

الأول : أنها تكشف عن العناصر الماضية التي تسربت إلى الفكر والتطبيق التربوي في حاضرنا ، كما أنها توضح لنا نوع المشكلات التي تنشأ نتيجة اصطدام التقاليد التربوية الموروثة بظروف جديدة ومطالب جديدة .

الثاني : أنها توضح لنا كيف عمل السابقون على إيجاد حلول لمشكلات تربوية مماثلة لمشكلاتنا ، وأن لم تكن ذات مشكلاتنا .

وعلى أية حال نحن لا نتوقع من دراستنا لتاريخ التربية أن نصل إلى حلول جاهزة تلاءم ظروفنا المعاصرة ، وهذا لا يعنى التقليل من أهمية هذه الدراسة ، ولكنها بدون شك ستنير لنا الطريق لحل مشكلاتنا التعليمية المعاصرة ، وتتيح لنا فرصة إصدار قرارات أكثر حكمة وتعقلًا

وتتمثل هذه الأهمية بالنسبة للمشتغلين بالتربية بصفة خاصة فيما يلى :

١- لا يكتمل إعداد الطالب في كليات التربية بدون التعرف على تاريخ النظريات والأفكار التربوية عبر العصور ، وبدون الاهتمام بدراسة أمور التعليم في بلده وفى غيرها من بلاد العالم والقوى المؤثرة في تشكيلها وتوجيهها .

٢- دراسة تاريخ التربية تؤكد العلاقة الوثيقة بين الثقافة والتربية ، وبين النظم الاجتماعية (اقتصادية – سياسية – دينية ٠٠) وبين التربية ، كما تفسر إلى حد كبير لماذا وجد نموذج

دون آخر في مجتمع ما ، الأهداف التي كان يسعى إلى تحقيقها ، العوامل التي أدت إلى نجاحها ، العوامل التي أدت إلى فشلها ، ومن خلال هذه الدراسة التاريخية يمكن أن نضع أيدينا على النماذج الأفضل والحلول الأكثر نجاحًا وواقعية ، واستبعاد تلك التي ثبت فشلها .

٣- إن معرفة الأصول التاريخية للتربية تكسبنا النظرة العلمية النقدية التي في ضوئها نربط الأسباب بالنتائج ونقيم الخبرات والمواقف التربوية والتنظيمات في ضوء الظروف التي نشأت فيها ومن ثم نكتسب وجهة نظر أكثر مرونة وأكثر تبصرًا .

طرق دراسة تاريخ التربية

لدراسة تاريخ التربية أساليب متعددة :

١- **دراسة الشخصيات أو المفكرين** الذين كان لهم تأثيرهم الواضح في الميدان التربوي ، والذين ما زالت لأرائهم واتجاهاتهم القيمة التي تجعلها جديرة بالدراسة والتأمل كأن ندرس أفلاطون – سقراط – الغزالي – ابن خلدون – جون ديوى ٠٠إلخ .

٢- الطريقة الزمنية الطويلة

وهى من أقدم الطرق المألوفة في دراسة تاريخ التربية وأكثرها شيوعًا ، ويتم فيها تقسيم تاريخ التربية إلى عصور أو فترات زمنية متتابعة ، مثل التربية في المجتمعات البدائية أو الأولى ، التربية في الحضارات القديمة (الصينية – المصرية – اليونانية – الرومانية) ، ثم التربية في العصور الوسطى ، والتربية في عصر النهضة ، والتربية في العصور الحديثة ، وفى كل عصر أو مرحلة من هذه المراحل يتناول الدارس الحقائق والأفكار التي تتعلق بتطور المؤسسات التعليمية ومنظمها وإدارتها ومناهج الدراسة وطرق التدريس ، مع الربط بينها وبين الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

ولهذه الطريقة ميزاتها وعيوبها ، فمن ميزاتها أنها تعطى الموضوع الذي ندرسه الاستمرار الذي نريده ونحن نتابع تاريخ الموضوع وتطوره ، ويؤخذ عليها أنها تتناول جزئيات من التربية أو جوانب منها ، كل جزء وكل جانب على إنفراد مما يحول دون النظرة الكلية الشاملة ، كما أن هذه الطريقة قد تؤدى إلى التكرار أحيانًا .

وقد اتبع هذه الطريقة E.P. Graves في كتبه الثلاث التي تتناول فيها تاريخ التربية قبل العصور الوسطى ، وفى العصور الوسطى وفى الحديثة كما اتبعها أيضاً Paui Monroe في كتابة الشهير عن تاريخ التربية .

٣- الطريقة العرضية أو طريقة المشكلات

في هذه الطريقة تنظم المادة العلمية ليس على أساس تتابعها الزمني ، وإنما من حيث ما لها من علاقة بالأوضاع التربوية الجارية ، أو بالمشكلات التربوية التي نهتم بها في الوقت الحاضر ، ومن ثم نختار الحقائق التاريخية وتنظم حول هذه المشكلات وهكذا نتبع الفكرة الواحدة ولتكن أهداف التربية عبر العصور ثم عندما نفرغ من دراستها ننتقل إلى فكرة أخرى وهكذا .

وقد اتبع هذه الطريقة في دراسة تاريخ التربية " بروبيكير Brubacher " على كل حال فهذه الطريقة أيضًا لا تخلو من المأخذ ، منه أنها تؤثر على وحدة أو تكامل العرض لفترة زمنية من حيث تشابك وتداخل العوامل المؤثرة في تلك الفترة .

٤- الطريقة الثقافية :

وهى الدراسة التي تأخذ في الاعتبار التعرف على العوامل الثقافية المختلفة والاجتماعية والفكرية والدينية والسياسية التي وجهت التربية في مجتمع من المجتمعات أو في حقبة تاريخية معينة ودراسة التربية في ضوء هذه العوامل يجعلها أكثر حيوية .

ومن المهتمين بدراسة تاريخ التربية في ضوء هذه العوامل والظروف مؤرخ التربية الأمريكي المعروف R.F. Butts الذي يفترض أن التربية تتأثر بما يسود من نظم ومعتقدات في ثقافة معينة ، وأن التربية بدورها تؤثر في الثقافة ويقصد " باطس " باصطلاح الثقافة ، النمط المركب من النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية ، هذا بالإضافة إلى الأفكار والمثل العليا التي توجه الناس في حياتهم العامة والخاصة ، ونحن لكي نفهم نظامًا تعليميًا معاصرًا ينبغي أن نقوم بمحاولة جادة لفهم وتقويم التقاليد الثقافية والتربوية للمجتمع واكتشاف العناصر الصالحة من الثقافة القديمة التي ينبغي أن يدعمها النظام التعليمي .

https://www.youtube.com/watch?v=nf7doR39JWw

أسئلة تقييميه حول الفصل الأول

١- اذكر مفهوم الثقافة ومفهوم التربية موضحًا العلاقة بينهما ؟

٢- أذكر مفهوم تاريخ التربية؟

٣- وضح أهمية دراسة تاريخ التربية؟

٤- وضح أهم الطرق المتبعة في دراسة تاريخ التربية؟

الفصل الثاني

التربية في ثقافات ما قبل التاريخ

ويتضمن العناصر التالية :

١- مقدمة

٢- العصور البدائية

٣- السمات العامة للتربية البدائية

أهداف الفصل الثاني

بعد أن تنتهي من دراسة هذا الفصل، يتوقع منك أن تصبح قادرًا على أن:

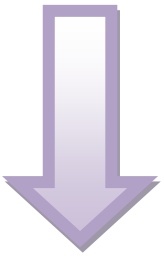

١- تتعرف على أهم العصور التاريخية التي ظهرت في العصور البدائية.

٢- تحدد أهم أهداف التربية في العصور البدائية.

٣- تحدد أهم مناهج التربية في العصور البدائية.

٤- تحدد أهم مؤسسات التربية في العصور البدائية.

٥- تحدد أهم طرق التدريس المتبعة في العصور البدائية.

الفصل الثاني
التربية في ثقافات ما قبل التاريخ

مقدمة

الإنسان هو منشئ الثقافة والحضارة ، وهو الكائن الوحيد ذو التاريخ ، تعلم الإنسان منذ بداية الخلق كيف يكيف نفسه للطبيعة ، وكيف يسخرها لخدمته ، وكيف يسيطر على بيئته ، وكيف يتجنب أخطارها التي يعجز عن تفسيرها .

وتعلم الإنسان بالتدريج كيف يستفيد من قدراته وخبراته خلال تعامله مع العالم المحيط به ، وكيف ينقل هذه الخبرات إلى أبنائه ، وكيف ينمى هذه الخبرات ويعدلها ، ويفيد منها في تنظيم حياته وأنشطته .

ومن العسير على الباحث أن يحدد بصفة قاطعة متى بدأ التعليم ، فالتعليم قديم قدم الحياة نفسها ، وأي جماعة بشرية مهما صغرت أو كبرت ، وأيا كان مكانها لا بد وأن نجد لديها صورة أو أخرى من صور التعليم والتربية ، إرادية أو غير إرادية ، مباشرة أو غير مباشرة ، منظمة أو غير منظمة .

وأيًا كانت أفكار الإنسان الأول عن التربية ، فإننا يمكننا التعرف عليها من الآثار التي تركها في صورة أدوات ونقوش ورسوم ، وأيضًا من دراستنا لبعض المجتمعات البدائية التي مازلت تعيش في عزلة حتى اليوم ، فهي تمثل بصفة عامة أولى مراحل تطور ثقافة الإنسان .

ولقد مر الرجل البدائي بمراحل كثيرة في نموه يمكن أن نجملها على النحو التالي :

١- العصر الحجري القديم :

حيث شاع استخدام الأدوات التي اخترعها الإنسان الأول من الخشب أو قرن الحيوان أو العظام أو الصخور ، كما وجدها في الطبيعة ودون أن يُدخل عليها أي تعديل أو تطوير ، وحيث استخدم الأغصان والكهوف مأوى وسكنا له .

٢- العصر الحجري :

وهو العصر الذي بدأ فيه الإنسان البدائي يُدخل بعض التحسينات على أدواته ويصنع منها أدوات جديدة كالحراب والسهام والفؤوس والمطارق ، كما أخذ الإنسان يبذل بعض الجهد لتحسين أماكن إقامته باستخدام الحجارة والأغصان بعد تشكيلها .

٣- العصر الحجرى الحديث :

وهو العصر الذي بدأت فيه ثقافة الإنسان البدائي في التقدم والنمو بخطوات أوسع وأكثر سرعة خلال الفترة التي سبقت ميلاد المسيح بحوالي ١٠.٠٠٠ سنة ، تعلم الإنسان صنع المأوى بمهارة أكبر ، وصيد الحيوانات والأسماك ، والزراعة وبعض الفنون الحرفية .

ثم ظهرت أهم اختراعات الإنسان ، وهى اللغة كوسيلة للتفاهم في صورة رموز وإشارات وعندما تمكن الإنسان من اختراع الكتابة بدأت مرحلة جديدة ، وأصبح من الممكن أن يسجل خبراته ، وثقافته ، وأصبح بإمكاننا التعرف على بعض مظاهر حياة ذلك الإنسان .

واستمرت حياة الإنسان الأول في التعقيد والتشابك ، وتطورت حياته الاجتماعية من العزلة إلى التعاون ، وأخذت التنظيمات الاجتماعية في الظهور وخاصة بعد استقرار الإنسان الأول في وديان الأنهار ، وتكونت الأسر ، ثم العشائر ، والقبائل ، وتكونت لكل جماعة مجموعة من النظم والطقوس الدينية وأوجه النشاط المختلفة التي تمارسها ، كما أصبح لهذه التجمعات أهداف مشتركة ، وبدأ التوسع وتكوين الإمبراطوريات ، وانتقلت تبعًا لذلك الثقافة انتشرت من بلد لآخر ، وزاد الاتصال والتبادل التجاري ، ونمت الحضارة بأبعادها المختلفة من صناعة وأدب وفن ، ونشأت طبقة الكهنة أو الأطباء السحرة الذين قاموا بوظائف التربية في هذه المجتمعات الأولى ، كما تولوا تفسير ظواهر العالم المحيط بالإنسان الأول ، والاتصال بهذا العالم واسترضاء الآلهة ودرء الخطر عن الجماعة .

السمات العامة للتربية البدائية :

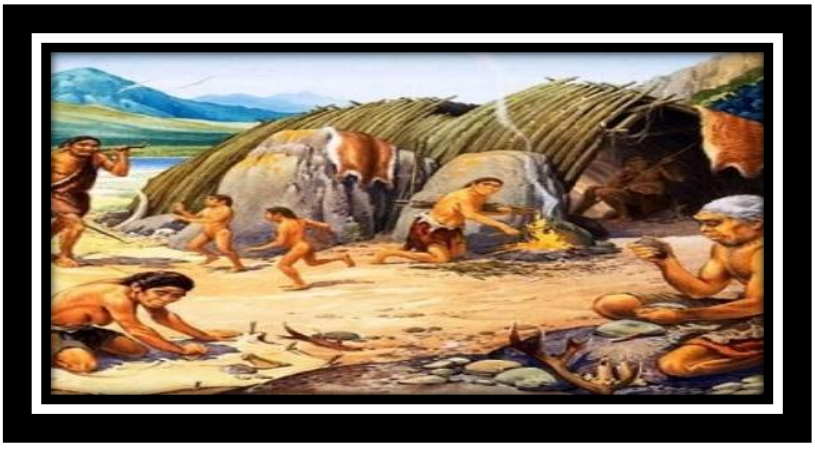

صورة (١) للعصور البدائية

الأهداف :

كان الخوف أقدم حافز للتعليم ، فالإنسان القديم كان مُهددًا بالقوى الخفية التي تسبب الكوارث له ولأسرته ، ولم يمكن خوفه قاصرًا على الأشياء الحية ، بل امتد إلى الجماد

أيضًا ، لاعتقاده أن لهذه الجمادات (أشجار – صخور – عواصف) أرواحًا يمكن أن ترضى وتغضب وتحل به نقمتها وشرها ، ونتيجة لهذا الخوف من المجهول والخوف من المستقبل أدرك الإنسان القديم أهمية توفير الأمن له ولأسرته وقبيلته .

وبدأ الإنسان القديم يمارس مجموعة من الشعائر والطقوس لاسترضاء هذه الأرواح الخفية ، وينقل هذه الخبرات إلى الجيل الأصغر بواسطة الكبار في الجماعة .

وهنا يمكننا أن نحدد الهدف الأول للتربية عند البدائي في تحقيق الأمان من قوى الطبيعة المدمرة ومن أعداء الإنسان ، وذلك عن طريق إعداد الفرد للحصول على ضرورات الحياة لنفسه ولأسرته ، وإتباع مجموعة من القواعد والعادات ، واجتناب مجموعة من النواهي ، يلقنها الكبار للصغار .

ومن الهدف الأول ننتقل إلى الهدف الثاني وهو التوفيق أو المطابقة ، وهو وثيق الارتباط بالهدف الأول ، حيث يخشى الإنسان البدائي التفرد والاختلاف بين الأفراد ، ويرى أن خير الجماعة إنما يكمن في الحد من الاختلافات الفردية ، وإبقاء الجماعة على مستوى نمط واحد ، فسلامة الفرد وأمنه مرتبط أشد الارتباط بتوافقه مع الجماعة ، وإحساسه بالرضا لتقبل الوضع القائم دون مناقشة أو تساؤل .

هذه الأهداف كانت تتحقق في الغالب لا شعوريًا ، أو لا إراديًا ، ودون أي مجهود من جانب المتعلم ، ودون أن يشكل هذا التعليم مشكلة بالنسبة له .

أنواع التعليم :

تضمن التعليم البدائي نمطين من التربية هما : التربية العملية والتربية النظرية .

يتضمن **التعليم العملي** ، ما نطلق عليه التدريب المهني ، التدريب المنزلي ، التدريب العسكري ، التدريب البدني ، التدريب الخلقي .

ويتضمن **التعليم النظري** التربية الدينية وتعلم الطب ، والتربية الفنية والتربية الموسيقية والتربية الأدبية والعقلية ، والطب والفن والموسيقى ، والأدب والفلسفة والعلوم ، ومن هذا النوع من التربية يستمد الرجل البدائي تفسيراته عن عالم الأشياء المحيطة به ، وعلاقة القوى الروحية بالعالم المادي وكيفية تأثيرها فيه .

المحتوى والمناهج :

كان تعليم البدائي يتكون من عمليتين هما :

- التدريب اللازم لإشباع مطالب البدن .
- التدريب على العادات والتقاليد والأوامر والنواهي اللازمة للحياة المتوافقة مع الجماعة .

وتختلف تربيـة البنين عن تربيـة البنات ، فالبنون يتعلمون صيد الحيوانات وصيد الأسماك والقتال وصنع الأسلحة والمتابعة والمطاردة ، والبنـات يتعلمن رعاية الأطفال وإعداد الطعـام وصنع الملابس والأدوات المنزلية ، كل هذه المهام كانت بسيطة وتتعلم في الغالب عن طريقة الملاحظة والتقليد .

أما عمليات العبادة فقد كانت أكثر تعقيدًا وكذلك التدريب على الطقوس السحرية التي تستهدف إرضاء الأرواح .

وكانت التربيـة البدنيـة لها أهميتها لدى البدائي ، حيث تكسب الفرد القوة والرشـاقة اللازمين لمواجهـة الحياة الصعبة في ذلك الوقت كما اهتموا بتنمية الروح العسكرية وكان الشـبان غالبًا ما يرغمون على تحمل ضرب آبائهم دون تذمر .

المؤسسـات والتنظـيم :

(أ) الأسـرة : كانت الأسرة هي الوحدة الاجتماعية الأولية ، وهى التي تتولى أمر التعليم العملي للإنسـان البدائي عن طريق نقل خبرات الآباء والأمهات للبنين والبنـات .

(ب) فئـة الكهنة والسحرة ورجال الطب وتوكل إليهم عملية التربية النظرية ، فهم الذين يقومون بتفسير مظاهر البيئـة التي تحيط بالرجل الهمجي ، والذين يتصلون بعالم الأرواح ، ومن ثم كانوا هم المسئولين عن توجيه سلوك القبيلة ، وتصريف الأعمال ، والقيام بالطقوس الدينية والعـبادات ، وكلها تمثل أول بدايـة لتربية الجنس البشرى تربيـة نظرية ، وقد يُشارك الكهنة والسحرة أحيانًا زعيم العائلة أو الأب الأكبر ، ثم تطور الأمر إلى نوع من التخصص حيث اقتصرت مهمة الكهنة على العلم الديني ، وأصبحت اختصاصات الأب الأكبر حربية وقضائية وسياسية ، وكان ذلك بعد توحد القبائل واختيار قائد القبيلة يمثل الأب الأكبر لجميع أفرادها .

هذا ويتضمن التعليم الديني تلقين مجموعة من التعـاليم الدينية ، والتدريب على طقوسها وتظهر هذه التعـاليم في مجموعة من القوانين العامة يمكن تطبيقها عمليًا ، هذا التطبيق يسـتلزم التدريب على أعمال معينة مرتبطة بالحفـلات الدينية (الغناء – الرقص - تقـديم القرابين - ٠٠) ويقـوم رجال الدين بتدريب الشعب على هذه الأعمال .

ويتولى رجـال الدين إلى جانب ذلك نشـر الدعوة والتعليم بين طائفـة الرهبان الجديدة ، وهذا يسـتلزم نوعًا متميزًا من التعليم أرفع مما يقدم لعامة الشعب يقـوم به طبقة الكهنة أو القسس المستنيرون ، وبهذا التعليم الأخير تتكون (مدرسة) بكل معاني الكلمة في العصر الحديث ، وكانت أول نشـأة لهذه المدارس أيـام قدمـاء المصريين وأيـام الكلدانيين ، ولذلك فإن هذه الشعوب يمكن اعتبارها أسبق في الانتقـال من مرحلة الهمجية إلى أولى مراحل الحضارة .

هناك مجال ثان تجلى فيه تقدم وظيفة التربيـة على يد الكهنة ، هو الاهتمام بالعلوم الكونيـة والمبادئ الفلسفية والرياضـيات والعلوم الطبيعية والحيوية ، وهذا الاهتمام وهذه الدراسـة عبرت بعقيدة البدائي مرحلة (حياة الجماد) أو مرحلة التفسير الروحي إلى مرحلة البحث فيما وراء الطبيعة ، وكل هذه المعلومات التي اختصت بها طائفة الكهنة كانت سرًا خافيًا على عامة الشعب .

أما المجال الثالث لتقدم التربيـة على يد الكهنة فنجده في اختراع لغـة الكتابـة للاحتفاظ بالطقوس الدينية والشعائر والتفاسير الفلسفـة والكونيـة والعلمية ، وتطلب ذلك من الكهنة الإلمام باللغـة المكتوبة وبالآداب التي تتضمنها تلك اللغـة .

وهذا يعنى أن عملية التربيـة والتعليم كانت بصفة عامة موزعة ، لم توكل إلى هيئـات أو مؤسسـات مسئولة مسئولية تامـة ، عن عملية التعليم بل شـارك فيها كل من شيخ القبيلة والكهنة والأسرة .

من حيث التنظيم كان هناك تنظيم قليل في التعليم البدائي ، ولم تكن هناك مراحل للتعليم ولا مستويات دراسية ، وكان معظم التدريب يعطى بطريقة عشوائية عرضية ولا يشمل إلا الأنشـطة والواجبات الضرورية للأسـرة والقبيـلة ، وربما كان المظهر الوحيد للتنظيم في التعليم البدائي هو الاحتفالات الهامة التي عن طريقها يتعلم الشـاب المراهق الانتقـال إلى حـياة الرجولة الكاملة وعضوية القبيلة ، وخلال هذه الاحتفالات يتعلم الشـاب الأسرار القديمة للقبيلة ، وكل التدريب العلمي والنظري الذي كانـوا يعتبرونه ضروريًا لصالحهم الخاص ولرفاهية الجماعـة ، وكانت الأغراض الرئيسية لهذا النوع من التعليم هو جعل الشـباب في القبيلة أعضاء جديرين بالانتماء إلى المجتمع .

وإلى جانب هذه الطقوس والاحتفالات كانت توجـد التلمذة العرضية في الأنشطة اليومية والموسـمية في الأسرة والقبيلة ، ومنها جميعًا يتكون البرنـامج التعليمي الوحيد الذي وجد في الثقافـات البدائية .

الطـرق :

كان تعلم الفرد في المجتمع البدائي يتم في الغـالب بطريق غير شعوري ، لا إرادي ، عن طريق التقـليد ، وقد أخذ معظم هذا التقليد اللاإرادي طريقه على سبيل اللعب فكانت تسـلية الطفل وألعابه تقليدًا لأنشـطة حياة البالغين .

وفى المراحل المتأخرة لنمو البدائي ، ظهرت طريقة التقـليد الإرادي ، وإدراك كل من المعلم والمتعلم معنى المثـل والقـدوة ، وبدأ الكـبار يتدخلون في توجـيه النشء والشـباب للإقتداء بهم وتوجيه سلوكهم ، وكان واجب الشـباب أن يقبلوا دون تسـاؤل عادات قبيلتهم ، واستخدمت

طريقة المحاولة والخطأ أحيانًا في نطاق ضيق ، في بعض الأعمـال التي لا تتعارض مع أي من العرف أو المحرمات ، أو المقدسات السـائدة .

كما استخدمت طريقة الوعظ والإرشـاد عن طريق الكهنة ، وخاصة فيما يتعلق بالأنشطة الرسمية للعبادة ، وإن كانت أسرارها دائمًا قاصرة على فئـة الشـبان الذين يعدون للكهانـة .

https://www.youtube.com/watch?v=0uf2bVQIQSM

أسئلة تقييميه حول الفصل الثاني

١- تتبع أهم العصور التاريخية التي ظهرت في ثقافات ما قبل التاريخ؟

٢- لخص أهم أهداف التربية في العصور البدائية؟

٣- لخص أهم المناهج التربوية المتبعة في العصور البدائية موضحًا أهم المؤسسات التربوية الموكل إليها تنفيذ تلك المناهج؟

٤- وضح أهم طرق التدريس المتبعة في العصور البدائية؟

الفصل الثالث

التربية في مصر القديمة

ويتضمن العناصر التالية :

١- مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية

٢- مظاهر الحياة الدينية

٣- مكانة الكتابة والكاتب في المجتمع المصري القديم

٤- أهداف التربية

٥- مراحل التعليم والمؤسسات التربوية

٦- طرق التدريس والنظام المدرسي

أهداف الفصل الثالث

بعد أن تنتهي من دراسة هذا الفصل، يتوقع منك أن تصبح قادرًا على أن:

١- تلم بأهم مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية في المجتمع المصري القديم .

٢- تتعرف على أهم مظاهر الحياة الدينية في المجتمع المصري القديم .

٣- تقوِّم مكانة الكتابة والكاتب في مصر القديمة .

٤- تتعرف على أهداف التربية في مصر القديمة .

٥- تقارن بين مراحل التعليم والمؤسسات التربوية في المجتمع المصري القديم .

٦- تتعرف على أهم طرق التدريس في المجتمع المصري القديم .

الفصل الثالث
التربية في مصر القديمة

ليس هنا مجال الحديث المفصل عن التاريخ السياسي لمصر القديمة ، وإنما تهمنا الإشارة فقط إلى أن مصر كانت مقسمة إلى عدة أقاليم صغيرة مستقلة حتى تكون منها مملكتان أحدهما بالوجه البحري والأخرى بالوجه القبلي ، وإن مصر لقبت لذلك " بأرض القطرين " ، وفى عام ٣٤٠٠ق٠م تم توحيد الوجهين تحت سلطة الملك مينا ، ومنذ ذلك العهد يقسم المؤرخون تاريخ مصر إلى ثلاثة أقسام رئيسية : الدولة القديمة ، والدولة الوسطى ، والدولة الحديثة ، وتشمل كل دولة أكثر من أسرة حاكمة ، ولا شك أن الإطار الثقافي الذي عملت في حدوده النظم والمؤسسات التربوية قد اختلفت من دولة إلى أخرى ، غير أن هناك بعض المعالم العامة لهذا الإطار نتناولها هنا دون التعرض للتفاصيل الدقيقة التي اختلفت من دولة إلى أخرى .

مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية :

صورة (٢) الأسرة في مصر القديمة

كانت الأسرة كالعهد بها دائمًا نواة المجتمع تقوم العلاقات فيها بين الزوج والزوجة على المودة الخالصة ، كما عرفت الأسرة المصرية القديمة بالترابط والاستقرار ، وقد احتلت المرأة فيها مركزًا مرموقًا إذ كانت تتصرف في أملاكها وتشرف على إدارة أعمال زوجها في غيابه ، وهذا أمر دفع مفكرًا مثل **ماكس ميللر** إلى أن يقول " ليس ثمة شعب قديم أو حديث رفع منزلة المرأة مثلما رفعها سكان وادي النيل ، أما الزواج فكان يتم في سن مبكرة وهو وسيلة المجتمع لكفالة النسل وتكاثره وإتاحة الفرصة لتربية الأبناء والانتفاع بهم

وبالمباهاة بكثرتهم ، يقول " **آنى** " من حكماء الدولة الحديثة لولده ، اتخذ لنفسك زوجًا وأنت صغير لتنجب لك طفلًا فإن أنت أولدتها إياه في صغرك أمكنك أن تقوم على تنشئة حي يغدو رجلًا ، فالرجل السعيد هو الكثير الأهل ومن أكبره الناس بسبب أولاده " .

لقد عرف عن الأسرة المصرية القديمة ، في جميع الطبقات شغفها بكثرة الإنجاب ، ويرجع ذلك إلى عدة أمور أولها طبيعة التكوين الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع وحاجته إلى الأيدي العاملة في مجال الزراعة وغيرها من المهن ، ثانيًا ، ما يؤديه الأولاد – وفقًا للعقيدة الدينية المصرية القديمة – من شعائر دينية وما يقدمونه من قرابين تحقق سعادة الوالد في أخراه ثم ما يقومون به لإحياء اسمه عن طريق الكتابة والصور على المقابر والمحافظة عليها وتقديم الأطعمة اللازمة في الأعياد ، ثالثًا : الاستقرار ووضوح المستقبل الاقتصادي وما ترتب على ثبات موارد الري من خصب ورخاء ، وقدرة الأرض على الإنتاج .

ويمكن القول بوجود طبقية في المجتمع المصري القديم ولكنها كانت مفتوحة تتيح للفرد أن ينتقل من طبقة إلى أخرى أكثر رقيًا في السلم الاجتماعي ، ومن هنا جاءت أهمية التعليم في الترقي في الوظائف الحكومية ، ومن ثم في الحراك الاجتماعي ، وفى الدولة القديمة كانت هناك طبقتان فقط طبقة البيت المالك وأقاربه التي كان أفرادها يشغلون كل المراكز الهامة في إدارة البلاد وفى الكهنوت ، وكان وجود النساء في بيوت أفراد الأسرة المالكة كفيلًا بإيجاد العدد الكافي لهذه الوظائف ، ثم تأتى الطبقة العامة التي شملت الصناع والتجار والفلاحين الذين عملوا بالفلاحة وبالخدمة في الأراضي الملكية وضياع الأمراء وعظماء الدولة .

وقد تميزت الدولة الوسطي بتغيرات جذرية في البناء الطبقي للمجتمع المصري القديم ، ولعل أهمها ظهور طبقة اقتدى أفرادها بالطبقة العليا من حيث تشييد المساكن والمقابر واقتناء العبيد والأرض ، وقد شملت هذه الطبقة الصناع والتجار والجنود المحترفين ، أما الكتبة فكانوا يحتلون مركزًا متوسطًا بين الطبقة العليا والوسطى وقامت في المجتمع ، بطبيعة الحال طبقة أرستقراطية تكونت من النبلاء وكبار الموظفين والكهنة ، وعلى رأس هؤلاء جميعًا كان الفرعون الذي كانت قدسيته تسمو به فوق الطبقات .

مظاهر الحياة الدينيـة :

صورة (٣) لآلهة مصر القديمة

لا شك أن الدين كان أكثر العوامل تغلغلًا وأقواها أثرًا في حياة القدماء ، فعندما استعصى عليهم فهم الكون بظواهره المختلفة قدم الدين لهم تفسيرًا مقبولًا ، وهو الذي أسهم في تقدمهم في العلوم والفنون والآداب ، وهو الذي ردعهم بزواجره الرهيبة وشجعهم بآماله المستديمة ، كما أن الدين هو الذي حدد لهم أوقاتهم بأعياده ، وفى بيئته الطبيعية رأى الإنسان المصري ألهته لأول مرة ، رآها مجسمة فيما حوله من نبات وحيوان وجماد ، كما أعتقد أن أرواح هذه الآلهة قادرة على جلب الخير أو إيقاع الأذى به فعمل على التقرب إليها واسترضائها بشتى الطرق .

ولم يكن للمصريين القدماء دين واحد ، كذلك لم تكن هناك وحدة زمانية أو مكانية لمعتقداتهم الدينية ، فكما بينا من قبل كانت مصر مقسمة إلى عدة أقاليم وربما لم يكن هذا التقسيم تقسيمًا إداريًا فحسب بل كان تقسيمًا دينيًا كذلك ، إذ كان لكل إقليم ، في البداية مجموعة من الآلهة المحلية الخاصة ، وكان نفوذ الآلهة المحلية يرتفع وينخفض تبعًا لارتفاع وانخفاض أهمية مدنهم أو أقاليمهم ، فكثيرًا ما ارتبط انتشار عبادة إله مدينة معينة بازدياد النفوذ السياسي لهذه المدينة ، وعندما حدث الاتحاد بين الأقاليم أصبح العامة هو الإله الرسمي ، ومع ذلك فقد احتفظت آلهة الأقاليم بولاء أبنائها ، كما احتفظت بعض المدن بنفوذ آلهتها في كل عصور التاريخ المصري القديم .

أما العبادة فكانت مراسم وطقوس تمثلت في تقديم القرابين والدماء والابتهال والصلاة والرقص والغناء والموسيقى ، فلكل مدينة معبدها وهيكلها ويقوم على الخدمة فيها كهنة المعبود والكهانة قديمة قدم العبادة والمعبود ، وقد اختلفت طبقات الكهنة وتعددت درجاتهم ووظائفهم واختصاصاتهم بقدر تعدد الآلهة ذاتها ، وكان الكهنة يختارون من الطبقات العليا للمجتمع بعد إحراز قسط عال من التعليم ، وغالبًا ما كان أبناؤهم يرثون مناصبهم ، وكثيرًا ما قام الكهنة ببعض الأعمال الإدارية في المعابد ، فهم الكتاب المقدسون وهم الذين أشرفوا على أملاك وأوقاف المعبد ، وحين أتى وقت بدأ المعبد فيه ينال أهمية أعظم أصبح الجميع بين الكهانة والأعمال الإدارية أمرًا مستحيلًا ، فأصبح لمعبد طيبة مثلاً موظفوه الإداريون ولم يكن لرجال الدين صلة بما يؤدونه من أعمال ، فقد كان هناك مديرو الضياع ورئيس الكتاب والكتبة الحسابيون وغيرهم .

وكان لرسوخ العقائد الخاصة بالحياة الآخرة بعد الوفاة أثر كبير في نفوس المصريين القدماء فاهتموا بأمور موتاهم لقد اعتادوا منذ عصور ما قبل التاريخ أن يضعوا من الميت زاد الآخرة وحياته المستقبلية ، ثم كانت القرابين والأوقاف على المقابر ، وهناك أيضًا المتون ونصوص التوابيت المسجلة لخدمة الميت ، كذلك ابتكر المصري القديم كل الوسائل الممكنة لصيانة قبره واهتم بتربيته ، والهدف من الرسوم على جدران المقابر إظهار خدم وأتباع صاحب القبر وهم قائمون على خدمته .

وقد آمن المصري القديم بأن لكل فرد روحًا هي " **البا** " وكان هذه مع " **الخت** " تكونان الفرد ويكملها عنصر ثالث هو " **ألكا** " التي تعيش في السماء وهى التي تحرس الميت وتحميه فيما بعد الحياة ، وعندما يموت الفرد يرقد جسده في القبر وتذهب " ألكا " إلى العالم الآخر ، ولأنه أدرك أن الموت صورة أخرى للحياة على نمط الحياة الدنيا ، فإن المصري القديم حرص على الاحتفاظ بالجسد دون أن يبلى ، ومن ثم ظهرت حاجته إلى التحنيط ، كذلك كان من الضروري أن تسبق المدفن عدة طقوس وشعائر دينية إلى الميت كل قواد وتجعله حيًا مرة أخرى وتمكن " البا " و " الكا " من استمرار كيانهما الطبيعي .

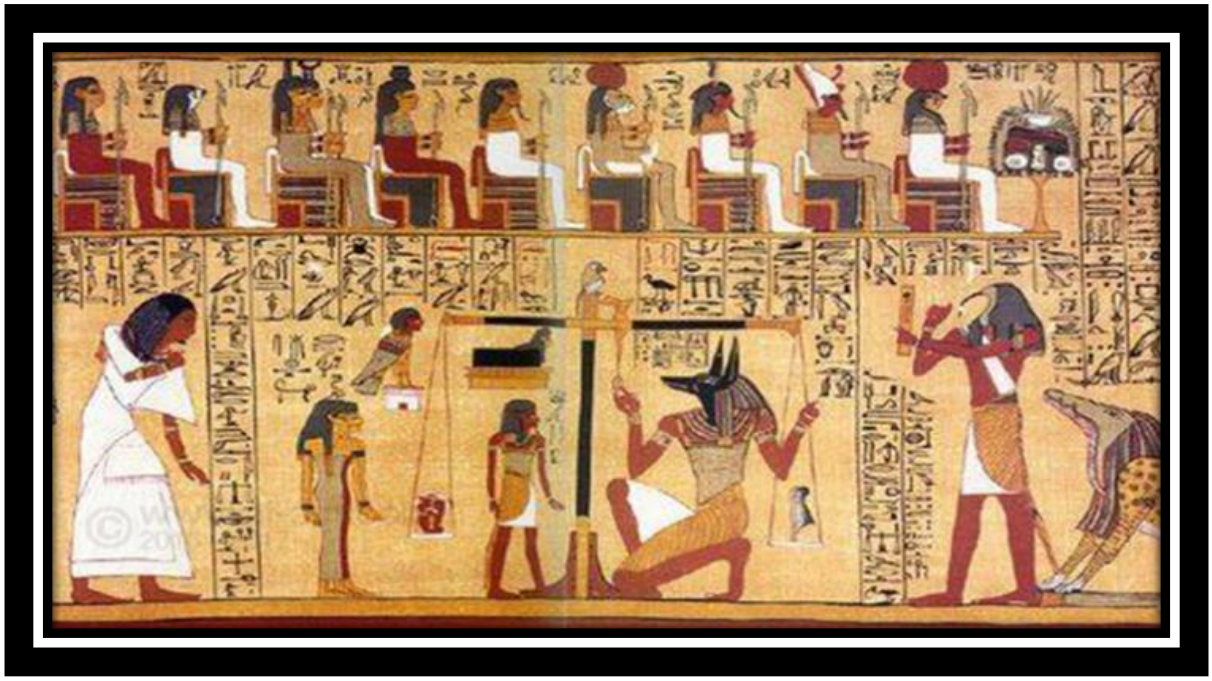

صورة (٤) ميزان الحسنات والسيئات في الحياة الآخرة من وجهة نظر القدماء المصرين

وقد عُثر في مقابر الأفراد من الدولة الحديثة على عشرات القراطيس من البردي كتبت عليها فصول من " كتاب الموتى " التي كانت تُعد مقدمًا ويترك مكان الاسم خاليًا ليملأ عند الشراء وهدف " كتاب الموتى " خدمة الميت : منحه القوة للاستمتاع بحياة خالدة ولينال ما يصبوا إليه في الحياة وراء القبر ، وليحصل على ما ييسر له التوجه حيثما يريد وليحفظ جسده كاملًا وليمكن روحه من الدخول إلى مساكن المباركين " .

وكان لهذه النظم المختلفة ، وما ترتب عليها من آثار واضحة في حياة المصريين القدماء ، نتائج ملموسة بالنسبة للتربية سنتبينها عند الحديث عن أهمية الكتابة والأهداف التربوية وما أقاموه من مؤسسات تُعنى بأمور التربية والتعليم .

مكانة الكتابة والكاتب في المجتمع المصري القديم :

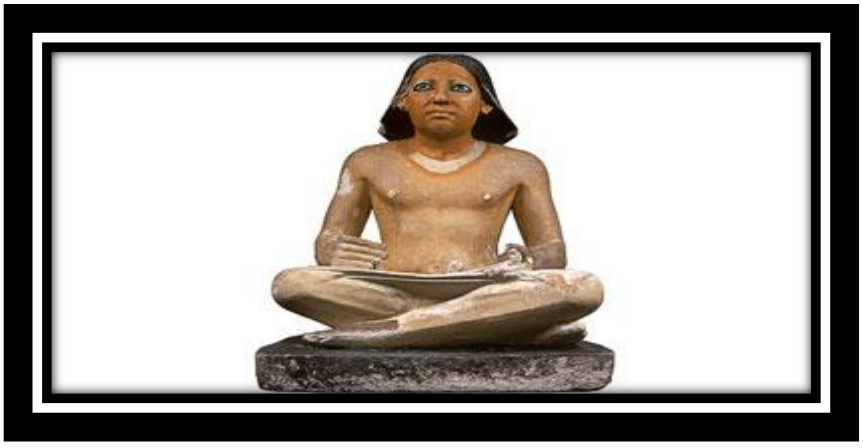

صورة (٥) لجلسة القرفصاء للكاتب المصري القديم

احتلت مهنة الكتابة مكانة مرموقة فتصاحبها مركزه الاجتماعي الذي يرفعه فوق أقرانه الذين يقومون بالأعمال اليدوية وتشير الوثائق إلى أب ينصح ابنه باحتراف الكتابة مفضلًا إياها على غيرها من المهن فيقول : " لقد تدبرت أمر الأعمال الشاقة وانتهيت إلى أن الكتب خير ما يسعى المرء إلى دراسته ولذا فإنني أقول لك : وجه ذهنك إلى الكتب لأن مهنة الكاتب أعظم المهن وليس لها نظير على وجه الأرض " ، ومن الأوضاع المفضلة لتماثيل العظماء جلسة التربع التي كان يتخذها الكتاب ، وينبغي أن نشير هنا إلى مدلول لقب الكاتب في مصر القديمة كان يشرُف كبار الشخصيات أن يتصفوا به دائمًا ، وأن لقب الكاتب في مصر القديمة غالبًا ما كان يعبر عن شاغل وظيفة كتابية ، وكان يلاحظ أن من تماثيل العظماء التي مثلتهم في جلسة الكاتب البسيط المتربع ما يمثلهم في سن متقدمة بلغوا فيها أرفع المناصب ، مما يرجع أن يكون هدف أصحابها هو التعبير عن فكرة تحصيلهم تعليم ومكانة الكاتب أكثر من مجرد التعبير عن وظيفة يتقلدونها.

وقد بلغ من تقدير القدماء المصريين للتعلم وأهله أو الكتابة والكتاب أن جعلوا للكتابة ربة هي " شسات " وقد افترضوا لآلهتهم الكبار كتبًا وكتبه مقدسين في السماء يعملون في خدمتهم وكثيرًا ما تمنى فراعنتهم منزلة الكتاب في أُخراهم .

أهداف التربية :

يمكن أن ترجع اهتمام المصريين القدماء بتعليم أبنائهم إلى ثلاثة أهداف رئيسية :

أولاً : العمل في الوظائف الحكومية ، أن الذين استهدفوا من التعليم العمل في خدمة الحكومة أخذوا في اعتبارهم عدة عوامل أهمها :

أ- أن الدولة كانت قادرة على استيعاب كل متعلم في وظائفها ، وقد ساعد على ذلك اهتمامها بتسجيل كل كبيرة وصغيرة من شئون البلاد ، وقد زادت حاجتها إلى الكُتَّاب كما زادت قدرتها على استيعاب المتعلمين في عصور التوسع الخارجي ، وفى الدولة الحديثة بخاصة ، وكان ذلك نتيجة للنشاط الكبير في إعداد الجيوش وما يتطلبه من تقييد ومراسلات وإصدار أوامر وصرف مؤن ، ثم الاهتمام بتنظيم شئون الحكم في البلاد التابعة والتراسل معها .

ب- الرغبة في تحقيق مكانة اجتماعية مرموقة ، ومما زاد في جاذبية العمل في خدمة الحكومة أن باب الترقي في الوظائف الحكومية كان مفتوحًا دون قيد أو شرط عدا الكفاءة الشخصية وحسن السلوك ، فالمصريون كانوا يقدرون التعليم بسبب التفوق الذي يحققه المتعلمون ، فكان

التعليم بذلك هو الحد الفاصل بين الطبقة الحاكمة والطبقة المحكومة ، فمن انتظم في التعليم وأصبح كاتبًا فقد وضع بذلك قدميه على أول سلم التوظيف وتفتحت أمامه مناصب الدولة .

ج- التخلص من الخدمة الإجبارية ، ومن المحتمل أن الدولة كانت تعفى الموظفين المتعلمين من السخرة والضرائب .

ثانياً : التعليم لخدمة متطلبات الحياة الدينية أو لاكتساب نصيب من العلم الديني الشخصي ، وقد اهتم المصريون القدماء بالدين وبالحياة الأخرة أكثر من أي شغب أخر ، ويتضح أثر هذا الاهتمام في إقبال المصريين على التعليم من الحقائق الآتية :

أ- أدى الاهتمام بالآلهة والطقوس الدينية على تكوين طبقة من كهنة المعابد كان عليها أن تتعلم للقيام بأعباء مهامها وأن توجه أبناءها إلى التعليم حتى يخلفوها في وظائفها .

ب- ساعد اعتقاد المصريين بما يمكن أن تسهم به النصوص الدينية المكتوبة في تحقيق السعادة في الأخرة على قيام طائفة من المتعلمين لكتابة ونقش النصوص على جدران المقابر والمعابد الخاصة وعلى التوابيت ، هذا بالإضافة إلى من كانوا يكتبون المتون على صفحات البردي .

ج- تصور المصريين القدماء آلهتهم على درجة كبيرة من العلم والمعرفة ولذلك رأى البعض أن في طلب العلم الديني نوعًا من التعبد في الدنيا والتقرب إلى الآلهة في الأخرة ٠

ثالثاً : طلب العلم لذات العلم ، وذلك مبدأ لا شك في قلة الذين اخذوا به في مصر القديمة ، كما هو الأمر في كل مجتمع وفى كل زمان ، وفى تاريخ مصر القديمة أمثلة عديدة لعلماء عرف عنهم طلب العلم بدافع ذاتي دون أن يضطروا إليه لتحقيق كسب مادي ، وقد نصح أحد الحكماء ابنه بأن يضع قلبه وراء الكتب وأن يحبها كما يحب أمه ، لأنه ما من شئ يعلو على الكتب .

رابعاً : طلب العلم لأجل فائدته العملية ، ويقصر (برستد) اهتمام المصريين القدماء بالعلم والتعليم على هذا الهدف دون غيره إذ يقول " أن اهتمام المصريين بالمعلم والتعلم كان لفائدته العملية فقط ، ولم تتق نفسهم إلى دراسة أصول الطبيعة والكون إلا إذا اضطرتهم الضرورة لذلك : وهذا أمر طبيعي فيمن لا يميل إلى البحث في الحقائق الغامضة ، ولذلك لم تتقدم معارفهم إلا فيما يتعلق بمعيشتهم اليومية وأعمالهم الدائمة دون اهتمام بالبحث عن أصلها " ، والحقيقة أن طلب العلم من أجل ما يترتب عليه من نفع مادي ليس عيبًا في ذاته ، فكثير من البحوث الحديثة تهدف في معظم الأحوال إلى الوصول إلى حلول للمشكلات التي تتحدى الإنسان ، كما تهدف إلى تحسين وسائل الإنتاج والسيطرة على موارد البيئة الطبيعية غير أن هذا لا يمنع من وجود بعض المشتغلين بالعلم الذين كرسوا وقتهم وجهدهم للبحث عن الحقيقة بغض النظر عن فائدتها العملية .

مراحل التعليم والمؤسسات التربوية :

لم يعرف المصريون القدماء نظامًا تعليميًا بالمعنى الذي نفهمه من النظام التعليمي اليوم ، ولكن يمكن القول بأنه قد وجدت لديهم مراحل تعليمية مختلفة ، كما تعددت المؤسسات التي قامت بأعباء التربية ، وساهمت الأسرة المصرية المتعلمة بنصيب كبير في شئون التربية والتعليم ، وكانت الطفولة تمتثل إلى سن الرابعة يلهو الطفل خلالها في البيت بكرات من القماش أو الجلد أو الدمى ولعب أخرى من بينها خزاريف خشبية أو دمى من الكتان أو الخشب لها أطراف على هيئة حيوانات ، أو على صور أخرى وهناك لعب خاصة بالفتيات تمثل الأمومة في مختلف مظاهرها من رضاعة وعناية بالأطفال وغير ذلك ، كما حرص الآباء على تلقين أبنائهم مبادئ الأخلاق السامية وأن يزودوهم بخلاصة تجاربهم ويدعوهم إلى إرضاء الآلهة ، وبصفة عامة ضمن أولئك الآباء تعليمهم لأولادهم ما كانوا يعتقدون أنه يكفل لهم راحة النفس والسعادة في العيش ورضا الآلهة ، وما كانوا يرون أنه ينفعهم في علاقاتهم بأسرهم وزملائهم ومرؤوسيهم ، وهذا بالإضافة إلى ما كانوا يكفلونه لهم من تعليم كتابي في المدارس ، أما أطفال الطبقات الدنيا فكانوا يعملون في الحقول والمصانع متى أصبحوا قادرين على العمل يشاركون فيه الكبار .

مرحلة تعليمية أولية :

كانت مراحل التعليم تبدأ عادة بدراسة أولية يتلقاها الطفل على يد معلم محترف متواضع العليم ، يتكسب بالعليم بين أهل حيه وأهل قريته ، في مكان يخصه أو في دار تلميذه وقد يجمع هذا المعلم بين التعليم وبين مهنة أخرى كأن يشتغل كاهنًا في معبد صغير ثم يستغل أوقات فراغه في تعليم أبناء جيرانه في مكان ملحق بنفس معبده لقاء أجر زهيد ، وكثيرًا ما ساهم المصري القديم في التعليم بحكم عمله ، وذلك كان يشتغل رسامًا أو خطاطًا للنصوص الدينية على جدران المعابد والمقابر ، وستعين في عمله بعدة صبيان يعلمهم أسلوب الخط ويساعدهم على حفظ الدعوات وبعض الحكم المأثورة التي جرت العادة على تكرارها في نصوص النصب والمعابد والمقابر ، فإذا ذاع أمره قام بالتعليم كذلك في الحي الذي يعيش فيه .

وليس بين المتون القديمة ما يشير صراحة إلى سن البدء في المرحلة التعليمية الأولية ، ولكن يمكن تقدير هذا السن بالرابعة أو الخامسة على أساس ما كانت تأخذ به الأوساط الشعبية من بدء تعليم الأطفال في سن مبكرة ، ويستمر الطفل في هذه المرحلة حتى يفك الخط ويحسن العد ويتلو بعض الحكم المأثورة عن ظهر قلب خلال أربع سنوات ونحوها ، وقد يكتفى

أهله بهذه الدراسة الأولية ليصبح أحد الكتبة العاديين الذين كانوا يعملون في الأسواق وفى دوائر الأثرياء .

مرحلة تعليمية متقدمة :

ويلتحق السعداء من التلاميذ بمرحلة تعليمية متقدمة قامت في مدارس صغيرة أطلق عليها أسم " عت سبا " أي قاعة الدرس أو دار التعليم ، وهى مدارس نشأ بعضها داخل المعابد والبعض الآخر على غير صلة بها ، وأن غلبت الصبغة المدنية على الدراسة بها في كل حالة ، وليس بين المتون المصرية ما يشير إلى كيفية تمويل هذه الدراسة بالضبط ، ولكن يبدوا أن الحكومة كانت تسهم في نفقاتهم ، غير أن الدارسة بها ظلت تستدعى نفقات معينة بحيث لم يقدم على الدراسة بها سوى الأثرياء ، والدراسة بها استمرار للتعليم الكتابي الذي تلقاه الطفل في المرحلة الأولى .

الإدارات المتصلة بالمكاتب الحكومية والمعابد :

إن المتعلمين في هذه الإدارات كانوا من البالغين وليسوا من الأطفال فتلميذ الإدارة الحكومية كان له نصيب من التعليم في المرحلة التعليمية الأولية ، ولم يتفرغ تلاميذ الإدارات الحكومية للتعليم ، وإنما جمعوا بينه وبين العمل في الوظائف الصغيرة ، فكانوا يتلقون تعليمهم على أيدي رؤسائهم ويعملون تحت أيديهم باعتبارهم مساعدين لهم ، وكان هذا النوع من التعليم مناسبًا لمن لا طاقة لهم بنفقات الدراسة في المرحلة التعليمية المتقدمة ، ولما كانت الإدارات ذات فروع في الأقاليم فقد ساعد تعددها على تعدد فرص الراغبين في التعليم .

وبالإضافة إلى الكتابة تضمن التعليم تدوين وتبويب المخطوطات من حيث رصد الدخل والمنصرف ، وحاصلات الأرض والمناجم ، وبعض موضوعات الأدب المصري القديم والمراسلات بأنواعها ، كذلك كان هناك تعليم مشابه في إدارات الجيش والإسطبلات الملكية ، وقد جمع التعليم في هذه الإدارات بين الكتابة والإعداد العسكري ، كما كان هناك تعليم منفصل بالإدارات الخاصة بالمعابد ، ولم تخرج موضوعات الدارسة بها عما اعتاد المعلمون المدنيون تدريسه ، فالتعليم كان مدنيًا وأقرب ما يكون تعليم الكاتب منه إلى تعليم الكاهن ، أي أن التعليم كان يهدف إلى إعداد كاتب المعبد .

قصور الفراعنة :

أما الأطفال الملكيون فكان يقوم على تربيتهم مربون خصوصيون ، وكانت العادة أن يسمح الملك لأبناء الأمراء والأقارب الملكيين وكبار رجال البلاط والجيش والكهنة بأن

يربوا في القصر مع أبنائه ، وكان الهدف من هذا بث روح الولاء للفرعون الحاكم بينهم ، وتعويدهم آداب اللياقة والبروتوكول ، وتأهيلهم لما يناسبهم من وظائف الدولة ، هذا بالإضافة إلى تزويد البلاد بالأتباع الأكفاء المخلصين ، وتدل الوثائق على استمرار كثير من الأطفال الذين تربوا في القصر في خدمة القصر نفسه .

كما عنى الفراعنة في عصور التوسع الخارجي بتربية أبناء أمراء الدولة الأخرى ، ولاشك أن هؤلاء كانوا يلقون معاملة خاصة وأن برنامج تربيتهم كان يوضع بحيث يكفل تشبعهم بالتقاليد المصرية وآداب القصر ونظام الحكم والإدارة ، وبحيث يحقق تقديرهم الخاص لمميزات الثقافة المصرية ، والولاء للفراعنة وهناك فريق آخر عنيت قصور الفراعنة بتربيته ، وكان أفراده يُختارون غالبًا من بين الأسرى والرقيق الذين كانوا يوزعون على دور الحريم الملكية المتعددة ويعدونهم لخدمة البلاط .

دور الحياة :

وتعهدت الدراسة العليا مؤسسة تعليمية خاصة عرفت باسم "برغنخ " أي دار الحياة ، وهى تسمية تعنى أن التعليم فيها كان بمثابة سبيل إلى الحياة الكريمة في الدنيا والسعادة في الآخرة ، وقد نظر البعض إلى هذه الدور على أنها نوع من الأكاديميات أو المعاهد العليا أو الجامعات أو المكتبات وهى في رأى فريق آخر لا تعدوا أن تكون دورًا للنسخ ، ويبدوا أن هذا الدور لم تكن دائمًا في المعابد وإنما كانت في مباني ملحقة بالمعابد ، كما يبدو أن الدولة قد أسهمت في نفقاتها وتشير المصادر المختلفة إلى تعدد مجالات الدراسة فيها ، فشملت الأدب والفلك والتنجيم والفن والتصوير والنحت والسحر والدين ، وكانت بها خزائن تحوى العديد من كتب العلم ووثائق الدين ، وكانت بها خزائن تحوى العديد من كتب العلم ووثائق الدين ، وقد قال معلم مصري لتلميذه : " جس خلال دار الحياة تصبح أشبه بخزانة كتب " ، والمتخرجون فيها لم يكونوا كهنة بالمعنى المعروف فهم ألصق بالعلم منهم بالدين ، وكان المتخرج فيه يشغل عادة مركزًا مرموقًا " كاتب دار الحياة " ما من أمر يُسأل عنه إلا ويجد له جوابًا مناسبًا .

طرق التدريس والنظام المدرسي :

لعل أهم هذه الطرق وأكثرها إتباعًا هو التكرار والتقليد والإملاء الاستظهار والنسخ ، ولا شك أن الممارسة الفعلية كانت الأساس في الإعداد المهني ، كذلك كان الحال بالنسبة للإعداد للوظائف الإدارية والكتابية والعسكرية ، هذا بالإضافة إلى بعض الإعداد النظري ، وقد اعتمدت التربية الدينية ، شأنها شأن التربية ذات الطابع العلماني ، على

الاستظهار ، إن فشل المتعلم كان يعرضه عادة لبعض العقوبات أهمها الضرب الذي كان منتشرًا بين المعلمين والذي كان يُستعمل دون قيد ، ويظهر أن بعض المسنين من المعلمين كان يسرهم اللجوء إلى هذه الوسيلة ، فالشائع بينهم أن " أذنا الصبي على ظهره وهو يسمع حين يُضرب " ، ومعنى ذلك أن الصبي حين يُضرب على ظهره تتفتح أذناه فيسمع ويطيع ، ومن ثم يتعلم .

وقد اقترن الضرب بأشكال أخرى من العقاب منها التذنيب أي الحجز والتقييد ، ومنها التعنيف اللفظي الذي كثيرًا ما كان يقترن بالتهديد بالضرب والعقاب ، ومن أمثلة ذلك قوله أحد المعلمين لتلاميذه : " ولسوف أجعل قدميك تتعثران حين السير في الحواري " ولسوف تضرب بجلد فرس النهر ، ويصف نفس المعلم ما عناه من جراء شقاوته في صغره فيقول : " ولقد قضيت زمنًا في الفلقة التي شدت أعضائي وبقيت على ثلاثة أشهر وأنا محجوز في المعبد " ، غير أن المعلم يلجأ إلى الضرب بعد ما تضيق بعض الوسائل الأخرى التي شملت تكرار النصائح والتوجيهات كما كان منها تكليف التلميذ بالواجبات المرهقة .

https://www.youtube.com/watch?v=0RyKWbUvat0

أسئلة تقييميه حول الفصل الثالث

١- وضح أهم مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية في المجتمع المصري القديم ؟

٢- وضح أهم مظاهر الحياة الدينية في المجتمع المصري القديم ؟

٣- قوِّم مكانة الكتابة والكاتب في صر القديمة ، مبررًا بالأدلة لما تقول ؟

٤- وضح أهم أهداف التربية في مصر القديمة ؟

٥- وضح أهم المؤسسات التربوية السائدة في مصر القديمة وأهم طرق التدريس المتبعة حينذاك ؟

الفصل الرابع

التربية والثقافة الإغريقية

ويتضمن العناصر التالية :

١- اسبرطة
٢- أثينا
٣- الفيلسوف " أرسطو " وأهم آرائه الفلسفية والتربوية

أهداف الفصل الرابع

بعد أن تنتهي من دراسة هذا الفصل، يتوقع منك أن تصبح قادرًا

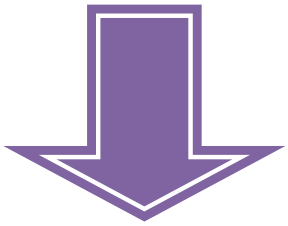

١- تتعرف على أهم طبقات السكان في اسبرطة .

٢- تتعرف على الفلسفة التربوية السائدة في اسبرطة.

٣- تتعرف على أهم طبقات السكان في أثينا .

٤- تلم بأهم أهداف التربية الأثينية .

٥- تتعرف على عناصر العملية التعليمية في أثينا وخاصَّة الطالب والمربي .

٦- تتعرف على آراء " أرسطو " الفلسفية حول : النفس ، الطبيعة ، الأخلاق ، وفي السياسة.

٧- تحدد أهم آراء " أرسطو " في التربية .

الفصل الرابع
التربية والثقافة الإغريقية

من الضروري أن نقف أمام هذه الثقافة في معالمها العامة على وجه العموم وفى معالمها الفلسفية والتربوية على وجه الخصوص ونحن إذ نأخذ على عاتقنا القيام بهذا العمل ، نضع أمامنا الاعتبارات الآتيــة :

١- أن الثقافة الإغريقية احتوت على أروع ما شهده الإنسان في العصور القديمة في المجال الفكري ومثلت أفكارها ونظرياتها في الفلسفة والتربية ينابيع نهل منها عديد من فلاسفة ومربو العالم حتى أن الكثير من آراء هؤلاء الفلاسفة والمربين كانت إما ردًا على ما قاله فلاسفة ومربو الإغريق أو تعديلًا أو سدًا لثغرات وتكملة وهكذا ، لذا يصبح من المحتم علينا الإلمام بخطوطها الرئيسية ومعالمها الأساسية .

٢- وإذا كنا نحاول اليوم أن نبعث تراثنا الفكري العربي كما شهدناه في كتابات الكثيرين من فلاسفة ومفكري العرب والإسلام أمثال ابن سينا والغزالي وابن رشد والكندي ٠٠ إلخ ، كما نحاول أن نربط بين ثقافتنا اليوم وآراء هؤلاء وغيرهم ، فلا بد أن نضع في حسابنا الأثر الكبير الذي تركه فلاسفة الإغريق في كتابات مفكرينا في العصور الإسلامية المختلفة وهو أمر لا يمكن أن ينكره إلا مكابر ، ومن ثم فإن الرجوع إلى هذه الينابيع الإغريقية يسهم أيضًا في عملية التأصيل الثقافي التي نقوم بها اليوم ، ويتيح لنا فهمًا أدق ووعيًا أكمل وبصرًا أنفذ لفكرنا السابق

٣- أن الحياة الثقافية المصرية نفسها قد تأثرت بهذه الثقافة في العصور القديمة لا بحكم تفوق الإغريق الثقافي فحسب ، ولكن بحكم احتلالهم لمصر فترة غير قصيرة بحيث يصبح من العسير الحفاظ على استمرارية التاريخ المصري دون دراسة ثقافة هؤلاء القوم .

مدخـل :

على دارس تاريخ التربية ألا يدهش للوفرة في المادة العلمية التي يجدها عن حياة اليونان القدماء وفلسفتهم وتربيتهم ، فالكتب الغربية التي تناولت التربية وتطورها بالبحث والشرح والتعليم ، أبت إلا أن تعطى الإغريق نصيب الأسد ، وقد يقول بعضهم أن وفرة ما عندهم من مصادر عن هذه الفترة في حياة البشرية مع ازدهار للحياة الفكرية في المدن الإغريقية تحتم عليهم أن يفردوا لها مكان الصدارة ، على أن بعض الدارسين يرون في هذا تحيِّزً من غربي لغربي ، ويهتفون صائحين بأن بهم مؤرخو التربية وجوههم شطر الشرق ،

وسوف يجدون فيه الكثير من الفكر الذي يستحق كل عناية في وقت سبق فيه الشرق الإغريق بأكثر من عشرين قرنا ٠

واليونان شبة جزيرة تمد أصابعها وجزرها في البحر المتوسط بمناخه المعتدل الداعي إلى حرية الحركة ، وليس شبه الجزيرة سهلًا يرمح فيه الإنسان والحيوان كيفما شاء ، بل جبالًا تتطلب مشقة وعملًا وجهدًا جسميًا ، وعلى أرض شبه الجزيرة تناثرت دول أطلق عليها كل منها ، مدينة دولة City State ولكل منها نظامًا وقوانينها وتشريعاتها وأطماعها .

وعشرات من الآلهة للبر والبحر وللحرب والسلم والجمال ٠٠ وتحارب الآلهة بعضها البعض الآخر ٠٠٠ وإذا كان فرعون مصر إلها يموت فآلهة الإغريق خالدة لا تموت ، ولكنها تغضب وتثور وتهدد وتنذر تم تهدأ ، ويرقص الإغريق ويقيمون الاحتفالات ٠ وتسيل أنهار من خمر مصفى ، وتمد الموائد ، ويباح ما نراه اليوم آثما وجرمًا .

ولم تعرف اليونان القديمة وحدة ، واختلفت بين مدنها الأنظمة الحكومية ، بين ديمقراطية واستبدادية ممعنة في جبروتها

وتمثل اسبرطة وأثينا نوعين متمايزين من الثقافة الإغريقية ويأخذهما المؤرخون والمربون نموذجين للحياة والتربية الإغريقية ومن هنا كان ضروريًا أن نقف على فلسفة ونظام التعليم في كل منها .

اسبرطة :

صورة (٦) للحكم في اسبرطة

كان الغازي إذ أخضع مدينة لسيطرته أصبح السيد الحر أما الذين حلت عليهم الهزيمة فهم عبيد يأتمرون بأوامر الأحرار ٠ والحر هو من يفكر لنفسه والمتمتع بالحقوق

السياسية وصاحب الأنشطة الرفيعة ، وهو الذي يتعلم ويحذق الفن والشعر والموسيقى والأدب ، وقد غزا الاسبرطيون " لاكونيا " واستقروا في كبرى مدنها (اسبرطة) متسيدين على البيريوكى والهيلوت السكان الأصليين ٠

وبيريويكى تعنى " السكان المتجولين في الأنحاء المجاورة " وهذا كان حالهم ، فقد تناثروا على مشارف اسبرطة في مدن صغيرة بلغت حوالي مائة مدينة ، وكانوا أرقى من الهيلوت Helots وهم العبيد فقد تمتعوا ببعض الحقوق المدنية والسياسية وكونوا الطبقة المتوسطة التي بلغ عدد أفرادها حوالي ١٣٠.٠٠٠ في حين كان عدد العبيد الهيلوت حوالي ٢٢٥.٠٠٠ ، أما الاسبرطيون السادة فكان عددهم حوالي ٤٥.٠٠٠ سيدًا ، وكان مهمة العبيد خدمة أسيادهم ، أما البيريويكى ومنهم ملاك وتجار وصناع ، فكان عليهم دفع ضرائب باهظة ، للاسبرطيين السادة .

وكانت سياسة اسبرطة تقوم على التفوق العسكري لتظل للسادة السيادة على بقية السكان، ولهذا تكون نظامهم التربوي بهذه الفلسفة٠ ويرجع أن نظام التربية الاسبرطية يرجع إلى المشرع " ليكرجس " في حوالي منتصف القرن التاسع قبل الميلاد ، وكان هدفها إعداد الفرد لمكانة في الدولة ، فالولد يعد ليكون ذا كمال جسمي شجاعًا متحليًا بعادات الطاعة العمياء للقانون ، وحتى يكون الجندي الذي لا يهزم ، متقشفًا وضابطًا لشهواته مخاطرًا ومتحديًا المشقات ، أما المرأة الاسبرطية فكانت تربى لتتصف بالترفع والنشاط في الحياة .

وكانت الدولة تمتلك الطفل منذ لحظة مولده ، وهى التي تحدد ما إذا كان هذا الطفل يستحق الحياة أو الموت ، ويحدد هذا القدر مجلس من المسنين ، فإذا آنسوا في الطفل ضعفًا أو هزالًا تركوه في العراء ثم يعودون إليه بعد فترة ، فإذا كان قد تحمل الجوع والجو سمحوا له بالحياة ، وإلا فخير لهم أن يموت فلا ينمو مواطنًا ضعيفًا .

ويسمح للطفل بالبقاء تحت رعاية الأم في البيت لمدة سبع سنوات ، ثم يرسل كل الأطفال إلى مؤسسات تديرها الدولة حيث يتولى أمرهم مرب Paedonomos يعاونه بعض المساعدين . ويصبح الطفل عضوًا في أسرة أكبر هي الدولة ، حيث يعيش مع غيره من الأطفال في ظل نظام قاس ، ويأكل الأطفال معا ويلبسون ملابس متشابهة ، وينامون في معسكرات يغلب عليها طابع التقشف وكل شئ مشاع بينهم ، فكل شئ ملك الدولة ، ولم يسمح لهم إلا بارتداء القليل مما يستر الجسم ، وبالتغذي بالضروري ، ويقسم الأطفال إلى مجموعات ، تتكون كل مجموعة من أربعة وستين طفلًا وعلى رأسهم Eiren ولد اختير لشجاعته وحسن تصرفه .

وكانت حياة الاسبرطي تدريبًا مستمرًا للحرب ، فكان الواحد منهم ينام في المعسكرات حتى يبلغ سن الثلاثين ، ويأكل في الميس العام حتى يبلغ سن الستين ، وكان لا يسمح للفرد إلا بقدر قليل من المال والحاجات العينية ، مما يحتاجه لبعض الضروريات ، وإذا كانت الدولة قد منحت كل اسبرطي حر قطعة من الأرض يزرعها ويفلحها له العبيد ، فإنها تطلبت منه أن يدفع لها مبلغًا في الشهر ، وإذا فشل فرد في تقديم ما يطلب منه طرد من الميس وحرم من المواطنة .

ولم تسنح للطفل الاسبرطي فرص للتدريب العقلي ، فقد غطت التربية العسكرية الجوانب الأدبية في مناهج التعليم ، بل لم يتعلم القراءة ولا الكتابة في مدارس الدولة إلا على أيدي مدرسين خصوصيين ، أما أشعار " هومر " والأغاني الوطنية فقد اهتم المسئولون بها على أساس أنها تدعوا إلى الحماس وتوقظ الهمم أكثر من كونها مادة للتقدير الأدبي والفني ، وإذا كان معظم الاسبرطيين قد جهلوا القراءة والكتابة ، فإن أفلاطون يبدى إعجابه بسرعة بديهة الاسبرطي وسرعة رده ، ولو أنه لأول وهلة يظهر كما لو كان غبيًا ، وكان الفتى الاسبرطي يستمع إلى مجادلات ومحادثات الشيوخ أثناء تناولهم وجبات الطعام أو مسيرهم في الطرقات

على أن الجانب الأكبر من التربية الاسبرطية كان مكرسًا للتدريبات العسكرية والتربية الرياضية ، فكان الأولاد يمتطون ظهور الجياد ويمارسون السباحة يوميًا ويقضون وقتًا طويلًا في التمرينات التي تقوى العضلات وتبنى أجسامًا مرنة وقوية ، وكان الخمسة الكبار Ephors يزورون معاهد التعليم بصورة دورية للتفتيش على سير الدراسة والتدريب ، ويجلس الواحد منهم يراقب عن كثب كيف يؤدب المعلم تلاميذه وكيف يجادلهم ويعاقبهم حتى إذا فرغ الدرس ولم يرض الزائر عن تهاون المعلم في عقابه تولى هو معاقبة المؤدب أو المعلم .

والقوة والعنف كانا شعار التربية ، فالصبية يجرون ويقفزون ويتلاكمون ويتصارعون ، ثم قليل من الرقص والموسيقى ، ثم السباحة وتحمل مشاق وتخطى عقبات ، ففي بعض المناسبات كان الأولاد والشبان يضربون ضربًا مبرحًا أمام مذابح الآلهة " ارتميس " . ويسمح في المصارعة والملاكمة بأي أسلوب يُمكن الفرد من التغلب على خصمه كقطع جزء من جسمه أو إحداث عاهة .

ومع هذه الشدة كانت هناك تربية خلقية تلازم هذه التمرينات ، ولعل أهمها تقديس وطاعة الرؤساء ، أما الأمانة والصدق فلهما معايير قد لا نرتضيها اليوم ، والتواضع مطلوب ، فالصبية يمشون في الطرقات وأيديهم تمسك بأطراف العباءة وعيونهم مطرقة إلى

الأرض ، ولكن لا بأس من الكذب على غير الاسبرطيين ولا بأس من السرقة ، وعلى السارق ألا يضبط وإلا إصابة الجلد والامتهان بتهمة الإهمال وعدم الحرص والفشل فالسرقة والتلصص تدريبان على أعمال الحرب ٠٠٠ وكل تدريب يؤدى إلى نصر في الحرب فمرحبا به عن الاسبرطيين ، وشرب الخمر إلى الثمالة مرذول ، ولكن يدرك الاسبرطي الحر مثالب السكر الشديد فكان يؤتى ببعض الهيلوت العبيد ويرغمون على احتساء الخمر بكميات تلعب برءوسهم ويعرضون للسادة الأحرار وإذا زاد عدد العبيد فهذه كانت فرصة للتدريب على القتل ، فيطلق الطلبة إلى الطرقات والمنازل ليتمرنوا على فنون القتل ضد العبيد العزل .

وخضع الاسبرطي للعقوبات البدنية حتى يدخل الشباب ملتحقا بفرقة الأنيبي Ephebi أي الطلب الحربي بعد سن الثامنة عشرة، حيث كان يتلقى تدريبات عسكرية متقدمة ، كما كان يعمل معلمًا للأطفال ومشرفًا عليهم إذا ما كبر وأصبح بفرقة الأنيبي كان مؤهلا لتلقى أعنف التدريبات العسكرية ، ثم ينتقل إلى دراسة أكبر بعد اجتياز عدة امتحانات عسيرة شاقة ، ويبقى في فرقة المليرينس Millerens عشر سنوات ، يصبح بعدها في سن الثلاثين ، أي رجلا مكتمل الرجولة مواطنا ومحارباً ، وعليه أن يتزوج حينئذ .

أما البنات فقد عهدت تربيتهن إلى الأمهات ، وكن يخرجن حافيات لا يستر أجسادهن إلا ثوب واحد ، وخضعن أيضًا لتدريبات رياضية وتدربن على المصارعة والسباحة والجري ورمى القرص والرمح ، وكن يقسمن إلى جماعات ، كما هو الحال بالنسبة للبنين ٠

وكان من رأى المشرع ليكرجس أن تطهر الفتيات من كل صفات الأنوثة المكتسبة كالحياء ، ولذلك فكن يرقصن عاريات تماما أمام الرجال ولكن بعد الزواج كانت المرأة الاسبرطية تتحجب وتلزم بيتها معظم الوقت في انتظار عودة زوجها .

إن نظرة عامة على التربية الاسبرطية تبين أنها استغلت الأفراد لخدمة الدولة كل الاستغلال ، فالفرد للدولة من ساعة مولده ، وهو يعد ليكون حاميا ومدافعا عنها ، والبنت تعد جسميا وخلقيا لتكون زوجة تقدم للدولة محاربين أصحاء أشداء بل إن الرجل المسن كان يعير زوجته لغيره من الرجال حتى تنجب للدولة أطفالاً أقوياء ، وقد هيمنت الدولة تمامًا على التربية وحققت ما أرادته من أهداف إيجاد المواطنين القادرين على حمايتها وتحقيق مطامعها ، أفراد أشداء لهم معاييرهم الخلقية التي ناسبت عصرهم ، متحمسون لوطنهم ومتعصبون له ٠٠ ولكن عندما حلت باسبرطة الهزيمة تداعى هذا البنيان وطغت موجات من الانحلال الخلقي والفوضى بعد فترة طويلة من النظام والجمود ٠

لقد ضحت الدولة في اسبرطة بالفرد وفكرت الدولة للفرد ، وعندما حلت الساعة التي تحتم فيها على الفرد أن يفكر لنفسه ، وجد نفسه عاجزًا ٠

وفى محاولة لتقييم التربيـة الاسبرطية نجد أن الخضوع للقوانين خضوعًا أعمى سـاد حياة الاسبرطيين ، ودمغ هذه الحياة بجمود شديد.

وكان من نتيجـة هذه التربيـة العسكرية في اسبرطة أن طبعت الأفـراد بخصـال كانت سببا في فشلهم فيما بعد ، فقد عرف عن الاسبرطيين أنهم لم يتعودوا الاعتماد على النفس وأنهم لم يتعودوا مواجهة المشكلات ومحاولة حلها بتعقـل وروية ، فلم يعط الاسبرطيون الفرصة لتحمل المسئوليات ، بل إن الدولة وجهتهم في كل شئ ، ورسمت لهم طريق الحياة ولم يكن عليهم إلا الانصياع للأوامر والبعد عن النواهي ، وقد أدت هذه التربيـة إلى جدب وقحط في التراث الفكري وانهيـار لحريـة الرأي وعـدم قـدرة للاسبرطيين على تكييف أنفسهم تبعًا لتغييرهم الظروف .

https://www.youtube.com/watch?v=H1Gc8amuWqI

أثينـا :

صورة (٧) لوحة عن مدرسة أثينا

ولعل أهم ما كانت تهدف إليه الأثينية بمقارنتها لشقيقتها المحاربة اسبرطة أن يسير الفرد في حياته بالحكمة التي يغلفها العقل في أدائه ما يلقى عليه من واجبات ، على أن الدولة الأثينية تطلب من مواطنيها قوة لجسم والجرأة والإقدام في سـاحة الوغى وما أكثر ساحاتها ، ولكن أثينا لم تتبـع ذلك الأسلوب العسكري الاستبدادي الذي اتبعته اسبرطة ، فقد قدسـت أثينا الأسـرة على أسـاس أنها ركيزة في نمو شخصية الطفل وتشكيلها – وتطلبت من الأسرة العناية بالطفل ، حتى إن مشرع أثينـا الأعظم (سولون) أعفى الابن من مساعدة أبيـه إذا قصر هذا في تربيتـه عندما كان طفلا ، وقد اهتمت أثينا ، على اسبرطة ، هذا في تربيتـه عندما كان طفلا ، وقد اهتمـت أثينا ، على اسبرطة ، بتعـليم الموسيقى إلى جانب التربيـة البدنيـة

، على أن المدارس كانت خاصة يملكها أفراد ، ولكنها تحت إشراف الدولة التي أشرفت أيضاً على تربية الأطفال في منازلهم ٠

وتكون المجتمع الأثيني من المواطنين والأجانب والعبيد ، وقدر عدد السكان في القرن الرابع قبل الميلاد بواحد وعشرين ألف مواطن ، وعشرة آلاف أجنبي أما عدد العبيد فوصل إلى ٤٠٠.٠٠٠ عبد ، أي حوالي عشرين عبدا لكل مواطن حر ، ولم تكن للعبيد حقوق مدنية ، ولكن كانت هناك تشريعات لحمايتهم من عبث الأحرار واضطهادهم أما الأجانب فلم يكن لهم الحق في الاشتراك في حكومة الدولة ولا تملك أرض ، وللأجنبي أن يعمل بالتجارة على أن يدفع ضريبة سنوية ، وقد يخدم أحياناً في الجيش أو البحرية ، وعمل العبيد في أعمال يدوية ، مما أضفى على هذه الأعمال مهانة كانت تثير تقزز السادة الأحرار الذين استمتعوا بوقت فراغ أتاح لهم الاهتمام بواجباتهم كمواطنين ، ومنها حضورهم ساحات المحاكم والجمعيات العمومية والخوض في سير الناس ممن يهمهم التحدث عنهم ، ونقدهم والتشهير بهم إذا لزم الأمر

وذهب الأطفال إلى مدارس أدارها أفراد منذ الصباح الباكر ويستمرون بها حتى تغيب الشمس ، وقد بدأ إشراف الحكومة على المدارس منذ تشريعات سولون عام ٥٩٤ ق٠م٠ فقد أصر سولون على ضرورة تعلم كل طفل مهنة ، كما حدد ساعات الدرس ، وكذا الشروط الواجب توافرها فيمن يقوم بمهنة التربية وسنه ، وكم من التلاميذ يستوعبهم إشراف المربى الواحد ، وكان سولون هو الذي أدخل دراسة (هومر) في المدارس ٠

هدفت التربية الأثينية إلى تكوين تناسق بين روح مرهفة تحس الجمال وتقدر الأدب ، وجسم رشيق قوى ، هدفت إلى تكوين الرجل الكامل جسماً وعقلاً وخلقاً ٠٠ الجندي الذي يذود عن الوطن ، والمواطن القادر على الإسهام في ثقافة بلده بتتبع كل جميل في وقت السلم ، كانت تربية لاستخدام وقت الفراغ في نمو متزن للفرد ، واستخدام مثمر لإمكانياته الجسمية والعقلية والروحية ، وعلى الوالدين في بواكير الطفولة مسئولية كبيرة في هذه التربية فيسمعان الطفل قصصا وأساطير ويدللانه ، حتى إذا كبر بدأ الطفل يعرف الشدة ، والضرب بالنعال والعصا ٠٠ ولكن لا يفتقد العطف والحب منهما ٠

ويذهب الطفل إلى المدرسة حوالي السابعة من عمره ، ويقسم اليوم المدرسي بين الباليسترا Plectra أو حلقة المصارعة والديدسكاليون Didaskaleion أو مدرسة الموسيقى ، وفى الباليسترا يدرب التلاميذ على كل التمرينات الرياضية كرمي القرص والرمح والمصارعة والجري والرقص والسباحة وتدليك الجسم بالزيوت لتحتفظ برشاقته ، أما

مدرسة الموسيقى فقد عنى بها أيام الإغريق في دراسة الأدب والتربية الخلقية ، وفى المدرسة يتعلم التلاميذ القراءة والكتابة والحساب إلى جانب الأغاني الوطنية والشعر ٠

وكان يرافق التلميذ في ذهابه إلى المدرسة عبد مسن اضطرته شيخوخته إلى عجز عن أعمال تحتاج إلى مجهود فعهدوا به إلى التلميذ يصحبه في غدوه ورواحه من المدرسة ، وكان هذا البيداجوج Pedagogue يقوم بتقويم أخلاق التلميذ ويراقب سلوكه وعاداته في الحديث والمشي والمجلس والمأكل ومعاملة الناس ٠

أما المربون في المدرسة فكانوا يأخذون معاشهم مما يدفعه التلاميذ ، وقد يستطيع مرب بما يجمعه أن يجمع التلاميذ في فصل دراسي ، أما غيره فكان يعقد حصصه في الهواء الطلق ٠٠٠ في ظل معبد أو في أحضان أشجار وارفة الظلال ٠٠٠ أو في مكان هادئ على قارعة طريق لا يطرقه كثير من المارة ٠٠٠ المهم وجود المربى والتلاميذ والمادة التي ينقلها المربى إليهم ، وكانت الغالبية من المربيين يأخذون أجرهم عينا لا مالا ، في آخر يوم من الشهر بعد أن يخصم الأب أجر الأيام التي تغيبها ابنه ، وكان لأبناء الأغنياء امتياز تلقى التربية على أيدي أفراد عرفوا بغزارة العلم والحكمة ، وكانت لهم شهرة واحترام بين سكان أثينا .

وقد اتبع الإغريق في تدريس القراءة الطريقة التركيبية ، فيتعلم التلاميذ حروف الهجاء أولاً ثم يكونون منها مقاطع ثم كلمات ٠ ثم يبدأ التلاميذ الكتابة على الرمل ، ثم على الشمع ثم على جلد رقيق مستخدمين قلما من الغاب وحبرا مصنوعا من الصمغ والصناج ، كما كان يفعل قدماء المصريين ، ولكن هؤلاء استخدموا ورق البردي كما استخدموا لوحة العدد في تعلمهم مبادئ الحساب ، وكانت الحروف هي المستخدمة بدلا من الأعداد ، كما استخدمت الأصابع في عمليات العد داخل المدرسة وخارجها حيث يوضع أصبعان متجاوران للدلالة على رقم معين ، ودرس التلاميذ بعض المعلومات الجغرافية من دراستهم لإلياذة هومر ، أما الشعر فكان يستظهر ويسمع بمصاحبة الموسيقى ٠

وحوالي سن الخامسة عشر أو السادسة عشرة كان الشاب الأثيني ينتقل من الباليسترا إلى الجمنازيوم العام بعد أن يتم المدرسة الابتدائية وكانت ثمان أو تسع سنوات ، وكان أبناء غير ميسوري الحال يتوقفون عند التعليم الابتدائي ثم يتجهون إلى بعض الصناعات للتكسب ، وقد عرفت ساحتان عامتان هما الأكاديمية والليسية Lycseum وخلدتا لارتباطهما بكل من أفلاطون وأرسطو على الترتيب ، وفى هذه الساحات اتخذت التمرينات الرياضية طابعا قاسياً إذا قورنت بالباليسترا ، وكانت الدولة تملك هذه الساحات ، ويعمل فيها موظفون رسميون ومهمتهم إعداد الشباب لمتطلبات الدولة ٠

وفى حوالي سن الثامنة عشر ولمدة سنتين ، يقسم الأثيني يمين الولاء لدولتـه ، ويتمرن على فنون الحرب ومعيشـة الجندية ، وغالباً ما تكون في حراسـة الحدود ، ويتدرب على استخدام الأسلحة (الثقيلة) كالدروع وإلقـاء الرماح ، وفـنون التكنيك العنيفـة ، وكان يطلق عليه في هذه الفترة اسم Ephepe أي الشـباب ، وبعـد انتهاء السنتين يتقـدم إلى " الجمعية العامة " ويتقـبل من الدولة رمحا ودرعا ويصبح مواطنا ، ثم يقسـم أمام المواطنين كبار السن أن يكون مخلصا للقوانين وللعرف ، وألا يهجر دولتـه وأن يظل على الدوام مستعداً للذود عن حياض وطنه ، وأن يعمل على تنميته بتثقيف نفسـه وبالنجاح في أعماله الخاصة ، وقد كانت أمام الأثيني الحر الفرص لاستمرار ثقافتـه في النحت والتصوير والفن المعماري والدراما ٠

وجلس الأثينيون في ظلال الأشجار يتجادلون ويناقشـون في كل ما يهم دولتهم وطرقوا أبواب الأدب والفن والحكومة والسـياسـة والفلسفة ، وكانت هذه الجلسـات الظليلة ، والمناقشـات الممتعة فاتحـة التفكير الذي نما وتطور ، ومن خلاله عرفنا وعرف العالم أجمع مفكرين عظاما مثل السوفسطائيين وسقراط وأفلاطون وأرسطو تركوا للفكر التربوي أشهر الثمرات وسوف نتوقف قـليلاً أمام أبرز هؤلاء وهو أرسطـو٠

https://www.youtube.com/watch?v=r6gz4sgQkgk

الفيلسوف " أرسطو "

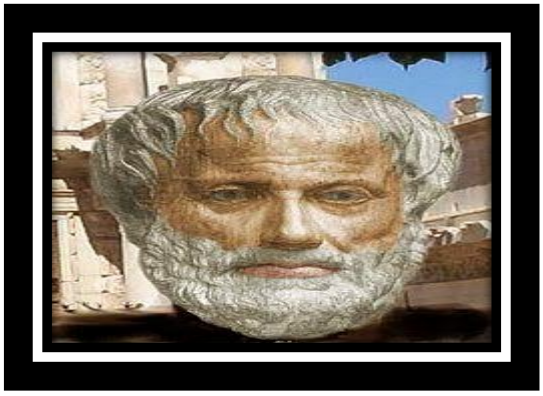

صورة (٨) للفيلسوف " أرسطو "

تربى أرسطو مع فيليب أبو الإسكندر المقدوني ، وكانت ولادته في سنة ٣٨٤ ق٠م٠ من عائلة ثريـة ، فكان أبوه طبيبا لملك مقدونيا ، وقـد ترك أرسطو مقدونيا على أثنيا في السابعة من عمره لينـال تعليمه٠ وفيها التحق بأكاديمية أفلاطون وتتلمذ عليه مدة عشرين سـنة ، وبعد وفاة أفلاطون ، ترك أرسطو أثينا إلى آسوس حتى دعاه فيليب ليقـوم على تربيـة ابنه الإسكندر وكان وليا للعهد ، وعندما اعتلى الإسكندر عرش مقدونيا عاد أرسطو إلى أثينـا وأنشـأ

بها مدرسته التي سميت بالليسية Lyceum نسبة إلى المكان الذي نشأت فيه ، كما سمى أتباعه بالمشائيين لأنهم أخذوا عنه عادة المشي أثناء تعليمه ، ثم مات الإسكندر سنة ٣٢٣ ق٠م في بابل وهو في أوج نصره العسكري ، وبموته تحكم ذلك السياج المتين الذي كان يحمى أرسطو من أعدائه الحاقدين وخصومه المغرضين ، فانتهزوا الفرصة وأغروا به العامة والجماهير واتهموه بالإلحاد وأنه لا يؤمن بآلهتهم ولا يقدم إليهم القرابين ، ولما اشتد هياج الجماهير ضده ، غادر أثينا قائلاً أنه يخشي من جناية الأثينيين على الفلسفة مرتين ، أولاهما بالعدوان على سقراط وثانيتها بالعدوان عليه ولم يلبث أن مرض بعد هربه من أثينا بعام أو بعض عام شاكيا من معدته ، ثم عاجل المنية سريعا في العام التالي من هربه أي في سنة ٣٢٢ ق٠م٠ وكان قد بلغ الثالثة والستين ٠

https://www.youtube.com/watch?v=Rx9Ekra6J0k

فلسفة أرسطو التربوية :

وقبل أن ندرس آراء أرسطو التربوية نقف وقفة قصيرة أمام أسسها الفلسفية والاجتماعية ٠

*** في النفس :**

يفرق أرسطو بين النفس بمعناها العام وهى المشتركة بين جميع الكائنات الحية ، وبين النفس بمعناها الخاص التي لا توجد إلا في الإنسان ، أما عن النفس بمعناها العام فيرى أرسطو أنها أولى صور الجسم الطبيعي المركب وهى مرتبطة به ، وهى ليست شيئاً مفترقاً عنه كما قال أفلاطون ، وبارتباط النفس بالجسم يجب أن ندرس قواها ووظائفها كجزء من الكائن الحي ، ولذلك فان أرسطو يتكلم عن قوى النفس : النامية والحاسة والمحركة والناطقة ، وأدنى هذه القوى هي في النبات الذي يتغذى ويتكاثر ، ويقتصر على هذين العملين ، والحيوان يلي النبات في الرقى إذ يتغذى ويتناسل ويحس ، فالحيوان يدرك بحواسه ، ويتبع وجود الحس الشعور باللذة والألم ، وهذا يدفع الكائن إلى التنقل بحثا عن اللذة أو لاتقاء الألم ، وهذا ما يفعله الحيوان الذي يستطيع الحركة على خلاف النبات ، والإنسان يلي الحيوان رقياً ، حيث يجمع ما عند الحيوان من قدرات مضافاً إليها (العقل) ٠

وللنفس العاقلة وظائف أو ملكات ، وأحط درجاتها الإدراك بالحواس إذ أن الإنسان يدرك بحواسه صفات الأشياء ولكن لا يدرك جوهرها ، فهو يدرك أن هذه شجرة بصفاتها

ولكن لا يدرك ما وراء ذلك ، ثم يلي درجة الإدراك بالحواس ما سماه بالحس المشترك إلى المركز في الدماغ الذي تتجمع فيه الإدراكات الحسية المختلفة ٠

ويلي الحس المشترك في الرقى قوة الخيال أو المخيلة التي تستعيد وتدرك الإحساس في غيبة موضوعه ، ويرى أرسطو " أننا نتخيل ما نشاء ومتى نشاء ٠

وتأتى الحافظة بعد المخيلة ، وهى تزيد عليها في إدراكها أن الصورة حصلت من إدراك حسي مضى ، ثم تلى الحافظة الذاكرة ، والذاكرة تتميز بأنها تثير الصور وتحضرها أمام العقل باختيارها ٠

وتأتى بعد ذلك قوة العقل ، والعقل درجتان أو قسمان : قسم سلبي وقسم إيجابي أو درجة قابلة ودرجة فاعلة ، والقسم السلبي شخصي خاص ، كالقدرة على التفكير والقسم الإيجابي ، أي العقل المفكر بالفعل قد كان موجوداً قبل أن يتحد مع بقية قوى النفس ٠ وهو يتصف بالعمومية بين جميع الأفراد ، ومعنى هذا أن القوة الإيجابية كالأشعة تسلط على جميع الأفراد بالتساوي ٠٠ ثم يتصل كل شعاع منها بالقوة السلبية في الفرد فيبرز كل ما فيها من قوة إلى الفعل ، لأن هذا الشعاع هو فعل محض ، أما الاختلافات الموجودة بين بني الإنسان ، في الفهم والعقل رغم تساوى القوة الايجابية المنسكبة على الجميع ، فمنشؤها اختلاف القوى السلبية التي هي بمثابة الأوعية للقوى الإيجابية والتي يختلف تأثير هذه القوى فيها باختلاف استعداداتها

والنفس لا توجد من غير بدن فهي وظيفة الجسم ، ولهذا أنكر أرسطو ما ذهب غليه فيثاغورث وأفلاطون من التناسخ ، خصوصاً حلول الأرواح في أجسام حيوان ، قائلاً إن وظيفة شئ ما لا يمكن أن تكون وظيفة لشئ آخر ، وعلاقة النفس بالبدن كعلاقة نغمات المزمار بالمزمار نفسه ، فالنغمات صورة والمزمار هيولي ، كذلك النفس هي موسيقى الجسم أو روح المزمار ٠

*** في الطبيعة :**

كانت الفلسفة الطبيعية عند أرسطو ترمى إلى تبيان النشوء والارتقاء الذي سلكه العالم من هيولي (ما يشبه المادة الخام الأولى) إلى صورة (الشكل الذي تشكل به التشكيلات) ، والعالم في سيره هذا يسير- نحو غاية ، إذ كل شئ في الوجود له غاية وله وظيفة يؤديها- والوجود الطبيعي هو الذي يتعلق بالمادة في الحقيقة وفى الذهن ٠

ولا يؤمن أرسطو بنظرية المثل الأفلاطونية ، ويرى أن الموجودات على نوعين : أحدهما ما هو بالطبع أي الأجسام الطبيعية مثل الحيوانات وأعضائها والنباتات والعناصر ،

وهذه تتميز بأنها قادرة على الحركة بذاتها ، وثانيهما ما هو بالصناعة أو الفن مثل المصنوعات كالمقعد والرداء ، وهذه يحركها صانعها أو غيره ، والمبدأ الذاتي للحركة والسكون في الجسم يسمى بالطبيعة ، والحسم يتحرك ، والسكون هو غاية هذه الحركة ، فالشجرة تنمو أي تتحرك لتصل إلى غايـة ، ويتكون الشئ من الهيولي والصورة ٠

<u>* في الأخـلاق :</u>

عنى أفلاطـون بما فوق عالم الحس ، وتجاوزت تعاليمه في الأخلاق قدرة الإنسـان طارقة أبواب الروحانيات والمثل العليا ، أما أرسطو فقد خالف أستاذه واتخذ من الحقائق والواقـع ركيزة بني عليها الأخلاق العملية ٠

ويتكلم أرسطو عن غاية الغايـات وأنها محل اتفاق بين الناس ، وهى السعادة ، ولكن الناس يختلفون في مفهوم السعادة ويحكمون عليها بحسب سير ثلاث : سيرة اللذة ، وسيرة الكرامة السياسية ، وسيرة النظر أو الحكمة ، ورأى أرسطو أن اللذة غايـة الحيوانات والعبيـد ، أما الكرامة السياسـة فيطلبها الممتازون النشطون ، ولم يتكلم كثيراً عن سيرة النظر أو الحكمة

ويرى أرسطو أنه لكي يتحقق خير الإنسـان يجب توافر شرطين: الأول أن يكـون هذا الخير غاية قصوى أو خيراً تاما يختار لذاته ، والثاني أن يكون كافيا بنفسـه أي قادراً وحده بأن يسعد الحياة دون حاجة لخير آخر ، وسعادة الإنسـان ترتبط بنفسـه الناطقة وعملها بحسب كمالها ٠

وفى رأى أرسطو أن الفضيلة ليسـت طبيعية في الإنسان ، وإنما الطبيعي فيه هو القوى والاستعدادات ، كما أن الفضيلة تكتسب بمعاونة الطبيعة ، وهى تعلم بالمران والتدريب ، وتفقد بإتيان أفعـال مضادة ، ويقـول أرسطو أن الأفعـال المطابقة للفضيلة توجد ملكات أو قوى فعليه تجعل الإنسان أقدر على إتيانها ، وللتربيـة أثر كبير في هذا السبيل ، والممارسـة أساس في تكوين الملكات ، ويرى أرسطو أن شعور الإنسان بلذة فعل الفضيلة هو الدليـل على حسن استعداده للخير ، وأن فعلها بألم دليـل على قلة الاستعداد لهذا الخير ٠

ويقـول أرسطو أن الفضيلة وسط بين رذيلتين ، وليسـت كالوسط الرياضي الذي يعين النقطة بين طرفين ، ولكنه وسـط (شخصي) يعينه العقل بالحكمة ، فالفـرد بإرادته وعقله يعين الفضيلة بعد تحكيم جميع الظروف ، ويقـول أرسطو أن بعض الانفعالات كالحسد والغيرة وبعض الأفعـال كالسـرقة والقـتل آثام مذمومة بلا استثناء ، وهى رذائل بالذات لا بسـبب إفراط أو تفريط ، وهذه تختلف عن فضيلة الشجاعة مثلا فهي وسط بين التهور والجبن ، والاعتدال

فضيلة بين رذيلتين هما الشر والإسراف في اجتناب اللذات ، والسخاء وسط بين إفراطة التبذير وتفريطة البخل ، والوداعة وسط بين الحدة والخمود .

*** في السياسة :**

صورة (٩) رأي أرسطو في السياسة

يقول أرسطو في تكوين الجماعة السياسية أنها تبدأ بالأسرة ثم القرية ثم المدينة التي تكفى نفسها بنفسها ، ومهمتها توفير الأسباب لكي يبلغ أفرادها سعادتهم ، أما عن تكوين الأسرة فيقول أرسطو أنها تتألف من الزوج والزوجة والذرية والعبيد ، والرجل ، رأس الأسرة ، والمرأة أقل عقلا ووظيفتها العناية بالمنزل والأولاد تحت إشراف الرجل ، ويرى أرسطو أن الرق نظام طبيعي ، فمن الناس من هم على ذكاء وقدرات وهؤلاء هم الأحرار ، وهم الأذكياء الشجعان ، كاليونانيين ، وما عداهم إما أذكياء فقط أو شجعان فقط فهم عبيد بطبيعتهم ، والعبد آله للحياة ، يعمل فيما يتنافى مع ما تحدد كرامة الحر عمله ، ولكن أرسطو لم يقر استعباد الشعوب بالفتح ، كما فتح الطريق أمام عتق العبيد ، وأوجب على السادة حسن استعمال سلطانهم ، ويعارض أرسطو أفلاطون باحترامه نظام الأسرة والملكية لأنهما صادرتان عن الطبيعة لا عن الوضع والعرف ، وإلغاؤهما معارض لميل الطبيعة ولخير الدولة جميعًا ، بل هو مستحيل التنفيذ ، ولا يقبل فكرة شيوعية النساء كما رآها أفلاطون وبالتالي يرفض شيوعية الأولاد .

ويرى أرسطو أن الحكومة الصالحة هي التي ترمى إلى خير المجموعة ، والفاسدة هي التي تعمل لخير الحكام ومصالحهم الخاصة ، ومن أشكال الحكومات الصالحة والأرستقراطية والديمقراطية ، ومن أشكال الحكومات الفاسدة الدكتاتورية ، والأوليجركية والديماجوجية .

آراء أرسطو في التربيـة :

يتفق أرسطو مع أستاذه أفلاطون في كثير من الآراء التربويـة ، فقد أورد أرسطو في كتابـة (السياسـة) عن العلاقـة بين الدولة والتربية ، ويظهر في كتاباته متأثرًا بأفلاطون ، وينظر كلاهما إلى التربيـة على أنها من مهام الدولة ، ولذلك فلم يعجبها عـدم وجود نظام تربوي عام موحد في أثينـا ، وطالبا بثورة شاملة في طرائق تربية الأجـيال الصاعدة الأثينيـة .

ويتفق أرسطو مع أفلاطون في أن تربيـة الرجل الحر ترتكز على عاملين بدنيين ، أولهما جسم صحيح سليم ، وثانيهما تكوين عادات مناسبة ، بل إن أرسطو يرى أن التربيـة عن طريق تكوين العادات تنقش قيم الحياة النبيلة في عقول الصغار منذ بواكير طفولتهم ، واهتم أرسطو كما اهتم أفلاطـون بتنمية العقل إلى جانب تنمية الجسم .

ومن أوجـه الاتفـاق بين أرسطو وأفلاطـون ، فإن هناك جبهات ظهر التعارض فيها بينهما واضحًا ، فبينما كان تفكير أفلاطـون في الاتجاه المثالي نجد أرسطو أكثر ميلاً للواقـع ، فقد ذهـب أفلاطون إلى القـول بأن الوجود يتكون من حس وفكر أو مادة ومثـل ، أما أرسطو فقد رأى أن الصورة والمـادة كل لا يتجزأ ، وبينما كان أفلاطـون يرى أن الحقيقة مركزها في النظام الروحاني السماوي أي في عالم المثل وليس في عالم الواقـع هو مظهر لعـالم المثل ، فإن أرسطو يرى أن الحقيقـة توجد في عالمنا الواقـع ، فأرسطو يهتم بدراسـة حقائق البيولوجيا بينما أهتم أفلاطـون بالنظريات الرياضـية ، ووجد في تصوره أن عالم الحس لا يفهم إلا بالعالم الآخر الإلهي ، أما أرسطو فرأى أن على الإنسـان أن يعمل عقله فيما بين يديـه ، وأن عالمنـا يفهم من ذاتـه ، وأكـد ضرورة الاستعانة بالمنطق، وفهم أرسطو الإنسـان كإنسـان لا كمخلوق إلهي .

كان أفلاطـون يهيم في بحثـه عن الحق في الخـيال ، في عالم مثالي ، بينما عاش أرسطو على الأرض يبحث عن الحق ، ولم يثق أفلاطـون في الحواس ، ورأى أرسـطو أنها يمكن أن تكون آلات تستخدم لمعرفـة بعض الحقائق الأوليـة .

وقـال أرسـطو إنه يجب على التربيـة أن تعتمد على نمو صحي سليم للمتعلم ، ولهذا فإن الغـذاء المناسـب والتمرينـات الرياضية أسـاسيان ، ولكنه رأى أيضاً أن نمو الفـرد يحـدد إلى حـد كبير العوامل الوراثيـة الجسمية والنفسية ، فما يطلق عليه " طبيعة صحية " هو مزيج من الفطري والمكتسب ، ونلمح هنا اهتماما من جانب أرسـطو بنقـاء الجنس ، كما أنه يتعرض في مناسـبات كثيرة إلى ضرورة اعتماد التربيـة على طبيعة الفـرد ، وأن تعمل على تنمية قـدراته ، ويرى أن " يهدف كل من الفن والتربيـة لاستكمال نقائص الطبيعـة " .

ومن آراء أرسطو التربوية التي أوردها في كتابه " السياسة " أن كل فرد ذي طبيعة صحية ينزع إلى التقليد ، والتقليد أساس الفنون الجميلة ، كما ينزع هذا الفرد إلى الحياة التعاونية مع غيره من الناس، ويدفع الإنسان إلى هذه المسالك محرك أساسي هو رغبته الطبيعية في السعادة ، وحيث إن السعادة تخرج من ثنايا حياة منتجة متزنة فاضلة ، فإن الفرد الصحي سيهتم أصلا بتحقيق القيم النبيلة ، واهتمام الفرد بتحقيق حياة منتجة وسعيدة يثير قدراته وطاقاته لا من حيث عمقها فحسب ولكن في مداها واتساعها ، ولهذا فإن الفرد يحاول تثقيف نفسه ويتصل بعناصر البيئة المحيطة ليعمل على نمو طاقاته ، وبتفاعل هذا الطاقات يضمن الفرد نمواً كاملاً .

وتتصف طاقات الفرد في طفولته بأنها تتأثر بالقوى الغريزية أكثر من خضوعها لأحكام وتوجيهات العقل ، ومهمة المربى هي العمل على أن تكون للنزعات الفاضلة والرغبات النبيلة السيادة فوق السلبية وغير الفاضلة ، وهنا يكون دور تكوين العادات بالتدريب المستمر ، وقيل فيما بعد ، إن العادة هي طبيعة الإنسان الثانية ٠

ولكن أي العادات يكونها الفرد ؟ يشترط أرسطو ، الفاضل والنبيل منها ، ويحدد العقل العادات الصالحة المقبولة ، فالعقل والأفكار يحددان بداية وأهداف التربية ، فليس من الخروج عن الصواب إذ قلنا أن هدف التربية كما رآه أرسطو هو النمو النفسي والجسمي السليم للفرد ، وتبدأ تربية الإنسان بتعويده وتعليمه في مرحلة من نموه لا يتمكن فيها بعد من تقرير ما يجب عليه عمله ، مع نموه يتمكن من إصدار القرارات والأحكام وبقدرة الإنسان على إصدار القرارات الحكيمة يحقق لنفسه حياة سعيدة تتسم بالاتزان والبعد عن الإفراط والتفريط ، وبذلك يضمن الإنسان البعد عن الرذيلة .

ويتحدث أرسطو عن الرجل الحكيم ، وهو الذي يجمع بين الذكاء والمعرفة العملية ، هو ذلك الذي يتمتع بفضائل العدالة الشجاعة والحرص ممتزجة بالمعرفة ، ويعبر عن هذا المزيج بالحكمة النظرية والعملية التي تمكن صاحبها من الحياة السعيدة الفاضلة مع نفسه ومع غيره من الناس ، وهذا مستوى الكمال حيث تقفل عنده دائرة التربية ، وهنا يكون الفرد قد وصل إلى حالة السعادة ٠

ولكن حالة السعادة هذه لم تنتج من مجرد دوافع بيولوجية وغريزية ، ولكنها محصلة خلقية وعقلية ، وهى بهذا ترتفع إلى مستوى أعلى من المستوى الطبيعي ، فهي تشم عناصر البقاء ، والمسئولية التي لا تنتهي ، والحرية ٠

وفى رأى أرسطو أن التربية يجب أن تخدم النظام السياسي القائم وأن تتفق مع طبيعة المتعلمين ، والتربية من مهام الدولة ، (النظومية منها) تنتهي عند سن الحادية والعشرين ،

وتقسم إلى أربع مراحل ، المرحلة الأولى تنتهي في سن الخامسة ، والتربية فيها طبيعية وتشتمل على حركات بدنية تلقائية مع اهتمام بحماية الأطفال من المؤثرات اللاأخلاقية ، والمرحلة الثانية من سن الخامسة إلى السابعة وفيها يلاحظ الأطفال الأنشطة التي سيمارسونها فيما بعد ، ويبق الطفل في البيت في هذه المرحلة ولكن تحت إشراف مديري التربية في الدولة.

أما المرحلة الثالثة فتنتهي قبيل سن المراهقة وفيها يتعلم الأطفال القراءة والكتابة والحساب والتمرينات الرياضية والموسيقى ، ويهتم أرسطو بالرياضة والموسيقى على أساس أنهما يهيئان للفرد حياة منسجمة متزنة سعيدة ، والمهم في هذه المرحلة ، التدريبات وتقليد السلوك الطيب وتكوين العادات الخلقية السليمة ، ويؤمن أرسطو بأن التربية علم مبنى على مبادئ عامة ذات صبغة عالمية معترف بها ولذلك فهو يعهد بالأطفال في هذه المرحلة إلى المسئولين من قبل الدولة ليقوموا على تربيتهم .

أما المرحلة الأخيرة وهى مرحلة (النفس المنطقية) ، فيبدأ فيها المتعلمون بسنوات ثلاث يتعلمون خلالها دراسات ذات طابع عقلي مثل العلوم والفلسفة والأدب والعلوم السياسية.

أسئلة تقييميه حول الفصل الرابع

١- اذكر أهم طبقات السكان في اسبرطة ؟

٢- حدد أهم مظاهر الفلسفة التربوية السائدة في اسبرطة ؟

٣- وضح أهم طبقات السكان في أثينا ؟

٤- لخص أهم أهداف التربية الأثينية ؟

٥- وضح بالتحليل أهم المدارس الأثينية التي يلتحق بها الطالب الأثيني حتى سن ١٨ سنة؟

٦- وضح أهم الطرق التي يتبعها المربي في أثينا لتعليم طلابه .

الفصل الخامس

التربية في ثقافات العصور الحديثة

ويتضمن العناصر التالية :

١- عصر النهضة

٢- سمات عصر النهضة

٣- المعنى التربوي للنهضة

أهداف الفصل الخامس

بعد أن تنتهي من دراسة هذا الفصل، يتوقع منك أن تصبح قادرًا على أن:

١- تتعرف على مفهوم عصر النهضة .

٢- تلم بأهم سمات عصر النهضة .

٣- تتعرف على أهم أنواع التربية السائدة في عصر النهضة.

الفصل الخامس
التربية في ثقافات العصور الحديثة

عصر النهضــة :

صورة رقم (١٠) تعبر عن النهضة الأوربية في الغرب

يستخدم المؤرخون اصطلاح النهضة للإشارة بصفة رئيسية إلى الفترة التي تشمل القرون الرابع عشر ، والخامس عشر ، وأوائل السادس عشر ، ولذلك ينظر بعضهم إلى عصر النهضة على أنه بعث مفاجئ للروح الكلاسيكية ، كما أرجعوا معظم التغيرات التي حدثت خلال عصر النهضة إلى عودة الاهتمام بدراسة الكلاسيكيات ، غير أن الاتجاه العام الحديث يؤكد أن الكثير من نظم عصر النهضة واتجاهاته الفكرية يمتد بعمق في العصور الوسطى ، وأيا كان الأمر ، فإن عصر النهضة كشف عن ازدهار عام للحياة وعن تغير سريع في النظم ، وفى الفكر ، وفى الفنون ، غير أن مفتاح التغيير في عصر النهضة قد يكمن في النمو المتزايد للاتجاهات العلمانية المميزة للعصر ، وتبدوا هذه الاتجاهات واضحة في النسيج المتشابك لكل نواحي الحياة تقريباً في عصر النهضة ، حقيقة أن القوى العلمانية كانت قائمة وفعالة في العصور الوسطى ، غير أنها نفذت إلى ثقافة عصر النهضة بفاعلية أكثر .

ومن الصعب على الباحث أن يحدد تاريخاً فاصلاً بذاته بين العصريين الوسيط والحديث ، فالانتقال بينهما تم بالتدريج ولم يسر على وتيرة واحدة ، هذا بالإضافة إلى أن التحول لم يشمل العلم بأسره بحيث يتركه خالياً من رواسب العصور الوسطى وكل ما في الأمر أنه توجد فترة انتقال بين كل عصر وآخر من عصور التاريخ ، وعصر النهضة هو الذي يمثل فترة الانتقال من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة ، ويمكن القول أن جذور النهضة تمتد في القرنين الثاني عشر والثالث عشر لتبلغ أشدها في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، ثم تستمر في صورة حركات الإصلاح الديني والنزاع الذهني في القرن السادس عشر ، وبعد ذلك ينتهي عصر النهضة ليبدأ عصر حديث يختلف في نظمه إلى حد كبير عن العصور الوسطى .

وللتربية في عصر النهضة ، كما هي في كل عصر ، تعكس ما يطأ على النظم المختلفة من تغيير ، ونحن نتناول هذه التغيرات بشتى من الإيجاز حتى نتبين ما ترتب عليها من آثار تربوية ٠

ضعف الكنيسة وأفول البابوية :

كانت الكنيسة في العصور الوسطي ، كما سبق أن بينا أقوى بكثير من السلطة الزمنية ، ولكن ثمة عوامل أخذت تعمل على إضعاف سلطة الكنيسة والبابا ، ولعل أبرزها نمو السلطة المدنية وقيام الملكيات والحكومات المركزية وبصفة خاصة في فرنسا وإنجلترا ، وأهم من هذا ظهور طبقة من التجار الأغنياء وازدياد المعرفة عند أفراد الشعب من غير رجال الدين ، وبصفة خاصة في مدن إيطاليا ، وكانت تسرى في تلك المدن روح الاستقلال التي كان لابد لها أن تتجه بعدوانها نحو البابا ، كما بدت البابوية في أعين الناس إلى وحده كبير مؤسسة للضرائب ، وذلك بعد أن اصطحبت بصيغة دينية قوية ، ورأى معظم الأقطار أن الموارد الضخمة التي كانت تسلبها الكنيسة إياها ، أولى بها أن تحبس في حدود بلادها ٠

ومما أضعف سلطة الكنيسة ظهور الحركات المصلحة المعادية لها والتي مهدت لأفكار وقوى جديدة كان من شأنها أن تغير تماماً معالم المجتمع الأوربي الوسيط ، وقد ظهرت هذه الحركات نتيجة للفوضى والإضراب اللذان تسللا إلى الكنيسة وتمثلا في بيع الوظائف الدينية ، ومغالاة الأساقفة الأغنياء في التمتع بمناهج الحياة وإرهاق صغار رجال الدين للناس برسوم الزواج وغيرها ٠

بداية ظهور القوميات الأوربية :

كانت أوروبا في العصور الوسطى قطعة متماسكة ذات دين واحد هو المسيحية الكاثوليكية ، سيطرت عليها الكنيسة لضعف سلطة الملوك ، وكان الأوربيون في ذلك الوقت

عالميون في نظرتهم : السكسونى ينظر إلى البورجندى على أنه أخوة فى الدين وفى العادات والتقاليد ٠

أما في عصر النهضة فقد ضعفت التوعية الروحية المسيطرة على الأفراد ، وهى النزعة التي كانت تحمى أبصارهم عن الفوارق الإقليمية ، الاشتغال بالأمور ، وبدأوا ينظرون إلى مستقبلهم من حيث أن رفاهية الإنسان وسعادته يجب البحث عنهما في هذا العالم ، ومن هنا بدأت تظهر القوميات التي قويت النزعة إليها ببعض رباط الأخوة الديني الذي كان يربط بين الأفراد وساعد على ذلك أيضاً زيادة قوة الملوك بعد أن أنهكت الحروب الصليبية النبلاء وذهبت بجزء كبير منهم وبطبقة الفرسان التي كانت تحد من سلطة الملوك ٠

نمو السلطة المركزية للملوك :

أخذت النظم الإقطاعية في عصر النهضة تخلى الطريق لظهور النظم الخاصة بالدولة القومية ، فمنذ بداية عصر النهضة أخذ فليب الرابع يوطد ملكه بتوجيه ضرباته إلى البلاد والبابا حتى أصبح أعلى سلطة في فرنسا ، كما حدثت عملية مركزة للسلطة في يد الملك في انجلترا ، وفى القرن السادس عشر أخذ الأوربيون يفكرون باعتبارهم أمما ويعملون في وحدات قومية ، ويقدمون لرئيس الدولة القومية قدراً من الولاء الذي كانوا من قبل يقدمونه للكنيسة ، لقد أصبح من الواضح أنه إذا كان للملك أن يكون الحاكم الفعلي للأمة فلا بد من إزالة كل ادعاءات رجال الدين أو خفضها إلى أقصى حد ممكن ، والطريق لإيجاد أمة واحدة هي خضوعها كلية بكافة طبقاتها لتشريعات وقوانين موحدة تصدر عن هيئة عليا ممثلة في شخص الملك ٠

الاستكشافات الجغرافية :

صورة رقم (١١) لبعض الرحالة الأوربيين

كان من الطبيعي أن تسعى الملكيات المطلقة ، في فرنسا وأسبانيا وانجلترا بالذات ، إلى التوسع خارج حدودها في أوروبا وخارج أوروبا ، أما التوسع الخارجي فقد نتج عنه حركة الاستكشافات الجغرافية وبداية الاستعمار الأوروبي التي أدت بدورها إلى قراءة الأوروبيين لمئات من المؤلفات التي تصف عادات الشعوب وتقاليدها وعقائدها ، فمثلاً بجانب الدين والفلسفة والعلوم الشرعية الإسلامية بدأوا يقرؤون في كتب الرحالة والمستكشفين عن عادات أهل الفرس قبل الإسلام وبعده والمبادئ التي قام عليها الدين الزرداشتى ، ثم عادت الهنود وأديانهم من البرهمانية والبوذية والديانات القديمة ، ثم الديانة الكونغوشية فى الصين ٠

الحركة الإنسانية :

إن النهضة تعنى انتشار حالة عقلية معينة تختلف عن الحالة العقلية التي كانت سائدة قبل ذلك في أوروبا ، ذلك أن الأوروبيين في العصور الوسطى كانوا ينظرون تحت تأثير الدين إلى أن مصير الإنسان محدد في العالم الآخر ، ويجب عليه والحال هذه أن يجمل نفسه بالتمسك بالدين واتخاذ الأسباب التي تؤدي إلى سعادته في العالم الآخر ، وذلك نجد أن الفلاسفة الدينيين والسياسيين أمثال القديس أوغسطين والقديس توماس الأكوينى يجعلون الدين المرتبة الأولى بين القوانين بينما القوانين الوضعية التي تنظم حياة الإنسان على الأرض وفى المجتمع قوانين في الدرجة الثانية من الأهمية ، وكانت برامج الدراسة تقوم على هذه النقطة بحيث تستوعب الدراسات الدينية معظم ساعات الدراسة أن لم تكن كلها ٠

وكان من الآثار الأولى للظروف التي أدت إلى عصر النهضة أن بدا الناس يهتمون بالعالم الحالي الذي يعيشون فيه ، وبدأوا يهتمون بالإنسان من حيث هو كائن حي عاقل مفكر يعيش في مجتمع ويدرسون الوسائل التي تؤدى إلى سعادته في هذا العالم ، فرجال عصر النهضة كانوا يعتقدون أن مصير الإنسان على الأرض وليس في أعلى أخر ومن ثم اهتموا بالإنسان ومعيشة الإنسان على الأرض ولذلك سمى فلاسفتهم باسم الإنسانيين بمعنى أن الدراسات الإنسانية أصبح لهم المحل الأول بينما الدراسات الدينية والخاصة بالعلم الأخر أصبح لها المحل الثاني ٠

والنهضة أيضاً كانت تعنى القضاء على النزعة الدجماطيقية في العصور الوسطى ، وذلك أن الأوربيين كانوا لا يعرفون إلا دينا واحداً هو المسيحية في صورتها الكاثوليكية ولا يعرفون إلا عادات واحدة منتشرة في القارة الأوربية كلها تقريباً ، بل أن اللغة التي كانت سائدة هي اللاتينية ، كما أن الكنيسة لم تترك مجالاً للأفراد ليفكروا في أن ثمة عادات أخرى وتقاليد

وأديانا تخالف تمام المخالفة ما يسرون عليه ، فلما عرف الأوربيون عادات وعقائد الشعوب الأخرى ظهرت لديهم نزعة قوية إلى التفكير الحر أدت إلى حركة الإصلاح الديني التي سنتكلم عنها فيما بعد .

النمو الاقتصادي وبداية الرأسمالية :

في أواخر العصور الوسطى أصبح المال أكثر توافراً ، ثم ازداد وفرة قبل أن ينتهي القرن السادس عشر حين تدفقت على أوروبا قصة بيرو ، أما التجارة فقد انتعشت أثناء الحرب الصليبية ، ومن ثم ظهرت طبقة وسطى ذات نفوذ سياسي قوى ومصالح رأس المال قوة لها حسابها ، تشد من أزر الدول الملكية القومية التي تعتبر سلطانها الوثيق من الحقائق الجديدة التي تميز أوروبا في القرن السادس عشر .

إحياء الدراسات اليونانية واللاتينية :

إن إحياء الدراسات القديمة – اليونانية واللاتينية – كانت أقوى مظاهر النهضة الأدبية في القرن الخامس عشر ، ولهذا الإحياء مظهران : الأول هو اكتشاف التراث المفقود ، والثاني هو تجدد الروح المتحررة ، وهى الروح التي اختفت خلال العصور الوسطى . وحين نشأت الطبقة المتعلمة في المدن وأخذت تبحث لنفسها عن فلسفة لحل مشاكلها لم يعد يلائمها التفكير المدرسي بجموده فانصرفت عنه واتجهت إلى مصدر آخر هو حياة القدماء ، فهذه الحياة أكثر اهتماما بالإنسان وحياته ومشاكله من الفلسفة المدرسية الخاصة بالعصور الوسطى ، لأن حياة القدماء بحكم وثنيتها وبعدها عن الروحانية وموقفها الإيجابي من الحياة تجعل الإنسان وسعادته محور النشاط البشرى ، وقد ظهرت حركة إحياء الدراسات القديمة أو ما ظهرت في مدن إيطاليا الشمالية ، وقد ساعد على ذلك ما تمتعت به إيطاليا من هدوء وسلام سنبين إبان النصف الثاني من القرن الخامس عشر حتى الغزو الفرنسي لها على يد شارل الثامن ، كما ساعد على انتشار هذه الحركة تأسيس المكتبات بأعداد كبيرة والاهتمام بجمع المخطوطات وتحقيقها ، كذلك الأكاديميات أو المجامع العلمية ، فقد كان النصف الثاني من القرن الخامس عشر عصر الأكاديميات .

ظهور النزعة الفردية :

كان نظام الطبقات في العصور الوسطى صارماً حتى أضحى الفرد معه عبدًا لمجموعة من العادات والتقاليد الموروثة داخل طبقته ، حتى إذا ما ظهرت النهضة أخذت حواجز التقاليد في الانهيار وأخذ بعض الأفراد يتخلصون من ولائهم الطبقي في سبيل الحرية

الفردية ، فالنهضة في كل ميدان كسب دون شك للتعبير الذاتي للفرد ، حتى قيل أن أعظم ما حققته النهضة هو أنها كشفت عن العالم والفرد ٠

التربية بين القديم والحديث :

كان من الطبيعي أن تعكس التربية ما جاءت به النهضة من تغييرات جوهرية شملت نواحي الحياة المختلفة ، لقد تمخضت النهضة عن مفاهيم تربوية جديدة حوت معظم التطورات التربوية الحديثة ، وقد اختلفت التربية الجديدة في تفسيرها للفلسفة اليونانية واستبعدت مباحث أرسطو في ما بعد الطبيعة ، وأحلت محلها مباحثه الخاصة بالطبيعة ، كما أفسحت المجال لدراسة آداب اليونان والرومان على أساس أن تعب بصدق عن أسس ما يوجد في الإنسان وفى الطبيعة ، أما من حيث الطريقة فقد نبذت التربية الحديثة ذلك الاتجاه العقلي الذي تميزت به التربية القديمة ، ومن ثم جميع أنواع المعرفة من مبادئ فرضية محضة مما كان مقرراً من قبل الكنيسة أو معترفاً به في تقاليد الفلسفة المدرسية ، أما من ناحية الشكل فقد رفضت التربية الحديثة أن تتقيد باللاتينية الشكلية الجامدة التي تميزت بها الكنيسة ومدارس العصور الوسطى ، بل تطلعت إلى ما في الآداب الكلاسيكية من حرية وجمال وقوة تعبير ، كما لم تعد التربية تهدف إلى تشكيل الفرد وفقاً لخطة محكمة من الفكر والعمل أفقدته شخصيته ، وحل محل ذلك نمو الفردية التي اتسمت بها النهضة المبكرة ، وسرعان ما تبلورت هذه الفردية في حركات اجتماعية من ناحية ، وإلى مدارس فكر تربوي من ناحية أخرى ٠

المعنى التربوي للنهضة

أولاً : إحياء فكرة التربية الحرة :

لم يكن الاهتمام بدراسة الآداب الكلاسيكية المظهر الخارجي الرئيسي لروح النهضة فحسب ، بل كانت هذه الآداب الوسيلة لإنماء وتطوير الحياة الجديدة ، إن النهضة لم تكن مجرد بعث لأفكار القدماء وطرق معيشتهم ولكنها كانت حركة تقليد إلى حد كبير ، وكان أهم مظاهر هذا البعث هو استرجاع فكرة التربية الحرة كما صاغها اليونان وعلى نحو ما تبناها لدى الرومان مربون أمثال سيشرون وكوينتيليان ٠

ومن الخطأ الاعتقاد أن الهدف الرئيسي للنهضة كان مجرد التفرغ لدراسة اللغات والأدب القديمة ، فلم يكن هذا جوهر الأمر على الأقل في المراحل المبكرة للنهضة ، أن الأصل في النهضة هو تلك الرغبة في حياة جديدة ، وبالتالي في تربية جديدة مختلفة عن التربية المدرسية القديمة ، تتجلى فيها روح التربية الحرة كما عرفها القدماء ، وهكذا نجد المؤلفون

في بداية عصر النهضة لا يكتفون بإحياء فكرة التربية الحرة فحسب ، بل يتجاوزون ذلك إلى استخدام نفس التعاريف التي عرفها بها أفلاطون وأرسطو وكوينتيليان ، ويرون مثلهم أن هدف التربية هو تكوين المواطن الكامل القادر على المشاركة في النظم الاجتماعية السائدة ٠

كتب باولوس فيرجيريوس الأستاذ بجامعة بادوا رسالة في التربية عام ١٣٧٤ صور فيها الهدف من التربية بقوله : " نحن نطلق اسم الدراسات الحرة إذا كانت هذه الدراسات جديرة بالرجل الحر ، تلك الدراسات التي تمكنا من إدراك وممارسة الفضيلة والحكمة ، تلك هي التربية التي تحشد ، وتدرب ، وتنمى أرقى الواهب العقلية والجسمية التى تشرف الإنسان " ٠

وثمة عناصر أخرى تضمنها الفكر والتطبيق التربوي في عصر النهضة وكانت هذه العناصر شائعة في العصور القديمة ، ولكنها كانت غريبة في العصور الوسطى ، وأولها العنصر الجسماني ، فإننا نجد في عدد لا بأس به من الرسائل التربوية التي كُتبت حينئذ عرضاً مفصلاً لأسباب الاهتمام بالتربية البدنية وطرق وأشكال التدريبات المناسبة لها ، أضف إلى ذلك اهتماما مماثلاً بأمور السلوك والأخلاق ، وهناك أيضاً العنصر الجمالي الذي خلت منه التربية في العصور الوسطى ، وذلك لانتشار مبادئ الزهد والرهبنة في ذلك الوقت ، خلاصة الأمر أن أهم إضافات عصر النهضة إلى التربية تتجلى في إحياء أو إعادة صياغة فكرة التربية الحرة التي تضمنت العناصر البدنية ، والجمالية ، والخلقية ، والأدبية ، والاجتماعية ، كما شملت العناصر المجردة للأدب واللاهوت وتعاليم الكنيسة ٠

ثانياً : التربية الإنسانية الضيقة :

أطلق على محتوى التربية الجديدة التي جاء بها عصر النهضة ، الذي كان قوامه اللغات والآداب القديمة ، اسم الإنسانيات ، وقد لخص باتستاجوارينا الغرض من هذه التسمية بقوله : "من خصائص الإنسان تعلم الفضيلة وممارستها ، لذا دعاهما أجدادنا الأقدمون الإنسانيات ، أي الأهداف والأعمال التي تلائم النوع الإنساني "٠

هذا النص ينبهنا إلى التغير الذي طرأ فجأة على التربية على المقصود من معناها الإنساني ، أن الاهتمام بدراسة الآداب الكلاسيكية ففي بداية النهضة كان مجرد وسيلة لفهم هذه الأهداف والأعمال ، إلا أن هذا الآداب أصبحت ، في القرن السادس عشر ، غاية في ذاتها، كما أصبح لفظ " الإنسانية " يدل فقط على آداب القدماء ولغاتهم ، وهكذا انصرفت التربية إلى الاهتمام بهذه الآداب اللغات بدلاً من الحياة نفسها ، وأصبحت صورة هذه الآداب وصيغتها هي الغاية ، وليس محتواها ومضمونها ٠

وكانت النتيجة الطبيعية لهذا التحول تكون نمط تربوي مغير للتربية الحرة التي نبع منها وأدنى منه قيمة ، فضاق معنى التربية الإنسانية وصار قاصراً على تعلم اللغات ، على نحو ما كان سائداً في المدارس الأوروبية منذ القرن السادس عشر حتى منتصف القرن التاسع عشر ، كذلك قل الاهتمام بالعنصر البدني والعنصر الاجتماعي ، وأصبح العنصر الجمالي مقصوراً على التقدير الشكلي للآداب القديمة والعناية بنواحي الفصاحة والبلاغة فيها ، على نحو ما نجد ذلك في النزعة أن غاية التربية هي تعلم أسلوب لا تيني كامل ، ولما كان شيشرون فى نظرهم سيد الأسلوب اللاتيني وزعيمه دون منازع فأنهم رأوا الاتجاه إلى دراسة مؤلفات شيشرون أو من ساروا على نهجه ، وهكذا ضاق معنى التربية وأصبحت صورية هدفها تعلم اللاتينية نحو أسلوبها ، ودراسة نصوصها ودراسة نحوية وبلاغية مفصلة ، مع العناية بصفة خاصة بمؤلفات شيشرون وأوفيد وبعض نصوص الكتاب المقدس ، بالإضافة إلى بعض الرسائل اليونانية .

https://www.youtube.com/watch?v=8eUhZ8a4FPI

أسئلة تقييميه حول الفصل الخامس

١- وضح مفهوم عصر النهضة ، وفي أي الحقب الزمنية ظهر؟

٢- تتبع أهم سمات عصر النهضة ؟

٣- لخص أنواع التربية التي ظهرت في عصر النهضة ؟

الفصل السادس

مفهوم التربية وأهدافها في القرن السابع عشر

ويتضمن العناصر التالية :

١- مقدمة

٢- العوامل التي أثرت في تطور مفهوم التربية وأهدافها في القرن السابع عشر

٣- الفيلسوف " فرانسيس بيكون "

٤- أفكاره العامة

٥- تأثيره في المجال التربوي

أهداف الفصل السادس

بعد أن تنتهي من دراسة هذا الفصل، يتوقع منك أن تصبح قادرًا على أن:

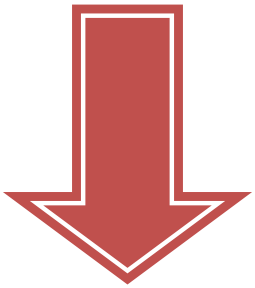

١- تتعرف على أهم العوامل التي أثرت في تطور مفهوم التربية وأهدافها في القرن السابع عشر.

٢- تحدد السيرة الذاتية للفيلسوف " بيكون " .

٣- تحدد أهم آثار " بيكون " في الحياة الفكرية وفي مفهوم التربية .

٤- تحدد أهم أوهام " بيكون " التي تضلل العقل عن الوصول للحقيقة .

٥- تحدد تأثير " بيكون " في المجال التربوي .

الفصل السادس
مفهوم التربية وأهدافها في القرن السابع عشر

مقدمة

بعد أن تتبعنا في الفصل السابق في إيجاز بالغ التطور التاريخي لمفهوم التربية وأهدافها منذ فجر الحضارة الإنسانية حتى نهاية القرن السادس عشر تقريباً ، يجدر بنا أن نضيف إلى الحلقة التاريخية السابقة حلقة جديدة في هذا الفصل فنتتبع بنفس الطريقة التطور التاريخي لمفهوم التربية وأهدافها ومذاهبها واتجاهاتها في القرن السابع عشر ، وسنلاحظ أن مفهوم التربية قد أحرز تقدماً كبيراً في هذا القرن ، فبدأت تظهر فيه وتتضح النزعات ، والمذاهب التربوية وتقترب التربية في مفهومها وأهدافها من المفهوم الحديث لها ، وقد أثر في هذا التطور كثير من العوامل وساهم فيه كثير من المربين بجهودهم وآرائهم كما سنرى في الصفحات التالية من هذا الفصل ٠

العوامل التي أثرت في تطور مفهوم التربية وأهدافها في القرن السابع عشر :

ففي القرن السابع عشر نجد أن التربية الغربية قد أحرزت فيه تقدماً ملموساً نحو المفهوم الحديث لها وذلك بالرغم من الحروب الدينية الدامية التي شهدها هذا القرن بين الكاثوليك والبروتستانت في أجزاء كثيرة من أوروبا ، وقد كان من أشهر هذه الحروب وأقساها ، "حرب الثلاثين سنة Thirty Years War (١٦١٨ – ١٦٤٨) التي وقعت بين البروتستانت واللوثريين وبين الكاثوليك في ألمانيا ، والحرب الأهلية التي حدثت في بريطانيا بين أتباع الملك شارل الأول الكاثوليك وبين أتباع البرلمان البيوريتان (المتطهرين) وحرب الهوجينوتس – " Huguenots War " في فرنسا ، فقد شغلت هذه الحروب من غير شك بال الأمراء في الولايات الألمانية وحكام إنجلترا وفرنسا عن توجيه كامل عنايتهم لإصلاح حال التربية ولإصلاح أحوال مجتمعاتهم بصورة عامة طيلة فترة هذه الحروب الطويلة ، ولكن هذه الحروب الدينية لم تعم كل البلدان الأوروبية وحتى في البلدان التي حدثت فيها فإنها لم تستمر طيلة هذا القرن ، هذا بالإضافة إلى أن هناك عوامل أخرى كثيرة قد عوضت الضرر الذي أحدثته تلك الحروب وكان لها تأثيرها الإيجابي في تطور التربية وإصلاح شأنها في هذا القرن ٠

ومن أهم هذه العوامل ذات التأثير الإيجابي على تطور النظرية التربوية في هذا القرن الجمعيات التعليمية الدينية التي قامت في كثير من البلدان الأوروبية والتي كان من أبرزها وأهمها " الجمعية اليسوعية " التي أسست في باريس سنة ١٥٣٤م على يد " أنياتيوس ليولا Ignatius Loyola " (١٤٩١-١٥٥٦م) لمحاربة العقائد الإلحادية البروتستانتية وتقوية النفوذ البابوي وتوسيع نطاق سلطة الكنيسة الكاثوليكية وإصلاح التعلم المسيحي الكاثوليكي ، وقد استمرت هذه الجمعية في نشاطها في فرنسا وفى غيرها من الأقطار الأوروبية الكاثوليكية حتى سنة ١٧٧٣م التي أمر فيها البابا بتصفيتها ٠وقد نشأت عدة جمعيات تعليمية دينية أخرى كرد فعل لتعصب وتزمت " الجمعية اليسوعية " ومن بين هذه الجمعيات أو الجماعات جماعة خطابة يسوع التي أسست لأول مرة في إيطاليا سنة ١٥٥٨ وأصبحت جماعة مستقلة في فرنسا سنة ١٦١١ ، ومنها أيضا جماعة " بورت رويال Port Royal " التي أسست في فرنسا سنة ١٦٣٧ على يد " Duvergier de Hauranne " (١٥٨١ - ١٦٤٣) الذي يعرف باسم القديس " سان سيران Saint cyran " نسبة إلى الدير الذي كان يرأسه ، ولم تعمر هذه الجماعة طويلاً حيث أنه لم يزد عمرها عن أربعة وعشرين عاماً (١٦٣٧ – ١٦٦١م) ٠

فهذه الجماعات وغيرها قد كان لها تأثيرها البالغ في إصلاح التربية وتطورها في القرن السابع عشر ، ومن ثم فلا غروا إذا ما اعتبرناها عاملاً من العوامل الأساسية التي أثرت في تربية هذا القرن ويضاف إلى هذا العامل عوامل أخرى أساسية ، نذكر منها على سبيل المثال النهضة العلمية التي بدأت في القرن السادس عشر وقويت شوكتها واتسع نطاقها في هذا القرن وما ارتبط بهذه النهضة العلمية من ظهورعدد لا يحصى من العلماء العظام في شتى العلوم الطبيعية والإنسانية والمربين المبرزين الذين كان لكتابتهم وجهودهم أعظم الأثر في تطور نظرية التربية ، وفى تأسيس العديد من الأكاديميات العلمية ، وفى قبول الطريقة العلمية التجريبية كأسلوب في البحث والتفكير ٠

وقد كان لهذه العوامل كلها تأثير بالغ على مفهوم التربية وأهدافها في هذا القرن ، ومن أبرز مظاهر هذا التأثير اتجاه التربية في مفهومها وأهدافها ومناهجها وجهة واقعية وتحررها تدريجياً من شكلية القرون الوسطى ومن سيطرة النزعة الإنسانية القاصرة عليها ٠

ومن المميزات العامة للاتجاه الواقعي أو الحركة الواقعية في التربية في هذا القرن – الابتعاد عن الطابع الشخصي وعن الثقافة الشخصية والاهتمام بإعداد الفرد للحياة العلمية ولمسئوليات الحياة الاجتماعية والاتجاه نحو إدراك الحقيقة الواقعية والاهتمام بدراسة الطبيعة وعالم الأشياء والرفع من شأن العلوم الطبيعية والعلوم غير الإنسانية ، والإعلاء من شأن

الطريقة العلمية والتوسع في استعمالها في مجال أوسع من مجال العلوم الطبيعية ، ولم تنفصل الحركة الواقعية التي ساءت في هذا القرن تماماً عن الحركة الإنسانية الكلاسيكية التي سادت في أول عصر النهضة ولا عن الحركة الإصلاحية الإنسانية التي سادت في أوروبا الشمالية في القرن السادس عشر بل استمرت فترة غير قصيرة من الزمن مرتبطة بهاتين الحركتين ومتأثرة بهما ، وكان من نتيجة هذا التأثر وذلك الارتباط أن كان لنا في آخر القرن السادس عشر وأول القرن السابع عشر مظهران من مظاهر الحركة الواقعية يحمل كل منهما اسماً يعبر عن هذا الارتباط والتأثر. هذان المظهران هما المذهب الإنساني الواقعي ، والمذهب الاجتماعي الواقعي ثم جاء بعدهما المذهب الحسي الواقعي الذي يمثل المرحلة النهائية لتطور الحركة الواقعية في التربية في هذا القرن

وفى النصف الثاني من هذا القرن بدأت تظهر – بجانب الحركة الواقعية – نزعة جديدة في التربية وهى " النزعة التهذيبية " التي كان من أبرز أنصارها وممثليها – كما سيأتينا – العالم والفيلسوف الإنجليزي " جون لوك " .

١- المذهب الإنساني الواقعي Humanistic- Realism :

ويقصد بهذا المذهب ذلك المذهب التربوي الذي ظهر في القرن السادس عشر والقرن السابع عشر لإحياء المبادئ التربوية التي امتاز بها عصر النهضة الأول ولمقاومة الاتجاه الإنساني الضيق الذي يتجلى في " النزعة الإنسانية القاصرة " ، والنزعة الشيشرونية " اللتين ظهرتا وقويت شوكتهما في القرن السادس عشر ، والإنسانيون الواقعيون ، وإن اتفقوا مع الإنسانيين الكلاسيكيين محدودي الأفق في الاهتمام باللغات والآداب الكلاسيكية – فإنهم كانوا يختلفون معهم في النظرة إلى هذه اللغات والآداب ، فبينما كان الإنسانيون الكلاسيكيون ضيقي الأفق ينظرون إليها على أنها غاية في حد ذاتها ويجعلونها محور المجهود التربوي – فإن الإنسانيين الواقعيين كانوا ينظرون إلى هذه اللغات والآداب الكلاسيكية لا على أنها غاية في حد ذاتها أو وسيلة لتحقيق تربية لغوية ، ولكن على أنها مصدر هام لمعرفة تراث الماضين ومعرفة الدوافع الإنسانية ونظم الحياة البشرية ، ولتسلية الإنسان وجلب المسرة له ، ولمعرفة كثير من الحقائق التاريخية والعملية ، والتربية في نظر الإنسانيين الواقعيين لا تهدف فقط إلى كسب المعرفة ، بل تهدف أيضاً إلى تحقيق النمو الجسمي والخلقي والاجتماعي للفرد.

ولقد كان للمذهب الإنساني الواقعي كثير من الدعاة والمناصرين من بين مربى القرن السادس عشر والقرن السابع عشر نذكر منهم على سبيل المثال " جوان لويس فيفز " و "

فرانسوا رابليه" و " جون ملتون John Milton " (١٦٠٨ – ١٦٧٤م) الذي يمكن أن نعطى فكرة موجزة عن حياته وبعض أفكاره في السطور التاليـة :

فهو المربى والشـاعر الإنجليزي الشهير الذي يعتبر خير من يمثل المذهـب الإنساني الواقعي في القرن السابع عشر ، ولقد بسـط " ملتون " أفكـاره التربوية في كتاباته التربويـة التي من أشهرهـا وأوسعها انتشـاراً رسـالته التربوية : " Of Education " التي نشرها سـنة ١٦٤٤م ، وقـد تأثر في أفكـاره التربوية في هذه الرسـالة وفى غيرها من كتاباته التربوية بكثير من العوامل ، نذكر منها على سـبيل المثـال عقيدته الدينية " البيوريتانية Puritanism " التي نصـب نفسه للدفـاع عنها ، والنزاع الديني الذي كان سائدًا في عصره ، ونزعته الإنسانية الواقعـية التي تتجلى في منادانـه باستعمال الدراسـات الكلاسيكية لتحقيق أهـداف واقعـية عمليـة ، وأفكـار المربين المتحـررين في عصره ، من أمثـال " صمويل هرتلب Samuel Hartlib " (١٦٠٠ -١٦٦٣م) الذي شجعه على كتابـة رسـالته التربوية سابقة الذكـر ، و " جون ديورى John Dury " (١٥٩٦ – ١٦٨٠) و " وليـام بيتى William Petty " (١٦٣٣ – ١٦٨٧م) و " كومنيوس Comenius " و " بيكون Bacon " وغير هؤلاء من المربين المتحررين في القرن السابع عشر وفى القرون السـابقة عليه ، وقـد جاءت أفكار " ملتون " التربوية نتيجة للعوامل السابقة – مصبوغة بالصبغة الدينية وبالصبغة " الإنسانية الواقعـية " ، فنجـده – مثلاً ينظر إلى التربيـة على أنها عملية إعداد لحياة دينية أخلاقـية عملية ، ويعتبر أن الأهـداف الأساسـية للتربيـة هي تقـوية الروح الدينية وغرس روح الفضيلة ، وإعـداد المواطن الصـالح القـادر على تحمل المسئوليات في السلم والحرب ، وذلك عندما يقول في رسالته سالفة الذكـر :

" إن هدف التربيـة هو إصلاح ما أفسـده آباؤنا الأولون وذلك بمعرفـة الله معرفـة حقيقة ، ومن هذه المعرفـة نستطيع أن نحـبه وأن نحاكيـه وأن نتشـبه به حتى نكون أكثر قربًا منه وذلك بالتحلي بأصدق الفضائل التي بارتباطها بجلال العقيدة المنبعث من السـماء توصلنا إلى أعلى الكمال .

ومن ثم فإنني أعتبر التربيـة الكاملة الصـالحة هي التي تعد الرجل لأداء جميع الأعمال خاصيتها وعاميتها بعـدل ومهارة وإحكام في أيام السـلم والحرب ٠

ويمكن أن تتجلى نزعـة " مليتون " الإنسـانية الواقعيـة " بصورة أوضح في المنهج الدراسي الذي اقترحـه بالنسـبة للتلاميذ الذكور الذين تقع أعمارهم بين سـن الثانية عشرة وسن الحادية والعشرين ، وهم الذين أهتم " ملتون " بتربيتهم ، ويقسـم " ملتون " منهجـه المقترح - حسب سن التلاميذ – إلى ثلاث مراحل هي مرحلة ما بين الثانيـة عشرة وسن السادسة عشرة ،

ومرحلة ما بين سن السادسة عشرة وسن الثامنة عشرة ومرحلة ما بين سن الثامنة عشرة وسن الحادية والعشرين ، ويشمل منهج المرحلة الأولى دراسة قواعد اللغة اللاتينية والتربية الدينية والأخلاقية والحساب والهندسة والزراعة والجغرافيا والفلك والفلسفة الطبيعية ويشمل منهج المرحلة الثانية دراسة الشعراء الكلاسيكيين الذين تناولوا مواضع عملية ودراسة علمية وفنية عميقة في الميادين التالية : حساب المثلثات ، وفن الحرب والدفاع ، وفن العمارة والهندسة ، وفن الملاحة ، والعلوم الطبيعية ، وعلم الأحياء ووظائف الأعضاء والطب ، ويشمل منهج المرحلة الثالثة نفس مواد المرحلة الثانية لكن على مستوى أعلى ٠

هذه العلوم يجب أن تدرس – في نظر " ملتون " – باللغة الإغريقية واللاتينية في كتابات الكتاب المشهورين القدماء ، فتدرس الزراعة مثلا عن طريق دراسة كتب " كوليوملا Columella " و "فيرو Verro " و " كاتو Cato " ، وتدرس وظائف الأعضاء عن طريق دراسة كتب " أرسطو طاليس " و " ثيوفر استوس Theoplrrastus " ، ويدرس فن العمارة عن طريق كتب " فرترفيس Virtruvuis " وتدرس الفلسفة الطبيعية عن طريق دراسة كتب " سينكا Senca " و " يلبنى " وهكذا بالنسبة لبقية العلوم أعلى ٠

ودلائل النزعة الواقعية في المنهج الدراسي السابق الذي اقترحه " متلون " تبدو واضحة في استخدامه للغة اللاتينية واليونانية والدراسات الكلاسيكية القديمة كوسائل لتحقيق أهداف واقعية وكمصادر لدراسة العلوم وفنون تنفع الإنسان في حاضر حياته وفى محاولة جمعه بين العلوم الإنسانية وغير الإنسانية وبين العلوم النظرية العلوم ذات الصبغة الفنية العملية ٠

٢- المذهب الاجتماعي الواقعي Social – Realism :

وقد مهدت جهود الإنسانيين الواقعيين لظهور اتجاه جديد في التربية يعتبر أكثر تشبعًا بالروح الواقعية ، يتمثل هذا الاتجاه في المذهب الاجتماعي الذي اعتنقه بعض المربين في القرون السابقة على القرن السابع عشر ثم اتضحت معالمه واتسعت دائرة نفوذه بين المربين أكثر فأكثر في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، ويقصد به ذلك المذهب التربوي الذي ينظر إلى التربية على أنها وسيلة لإعداد الفرد للحياة الاجتماعية الناجحة السعيدة المملوءة بالمسرات ولخلق الرجل "الجنتلمان " أي الرجل المتعلم المهذب ، والهدف الذي تسعى إليه التربية في ضوء هذا المفهوم هو تحقيق الحياة الاجتماعية الناجحة السعيدة للفرد وتهذيب أخلاقه وتشكيل ميوله وطباعه وتنمية قدراته واتجاهاته بما يجعله عضواً نافعاً في حياته العملية ، ولتحقيق هذا الهدف النفعي الأخلاقي فقد دعا أنصار هذا المذهب الواقعي إلى العناية

بالرحلات والأسفار المديدة الأجل باعتبارها أهم عوامل التربيـة ووسائلها فهي من شـأنها أن تسـاعد – في نظرهم – على تنمية تجارب الفرد وتوسيع أفقـه العقلي وتبصيره بأحوال الناس وعاداتهم وأخلاقهم وإتاحـة الفرصة لأن يحـتك احتكاكاً مباشراً بالأماكن والشعوب فتقـوى بذلك وتتسـع معارفه التي استفاد بها من الدراسـات الأدبيـة النظرية ٠

ويتفق أنصـار هذا المذهب في إعلائهم من شـأن الأسفار والرحلات في التربيـة مع كثير من المربين اليونانيين والرومانيين القدماء ، فها هو " كويتليان " المربى اليوناني مثلا يعـالج موضوع هذه الأسفار والرحلات ويدعو إليها بقوله :

" وددت أنه لو يكون لي ولد فأرسـله إلى الخارج منذ نعومة أظفاره حتى يتمكن من أن يقـوى عقله ويشحذ ذهنه باحتكاكـه بالآخرين ، أن العالم الكبير الذي يضم أنواعاً كثيرة تحت جنس واحد هو المرآة الحقيقة التي يجب أن ينظر إليها فنعرف حقيقة أنفسـنا كما يجب ، وفى نظري أنه هو الكتاب الذي يجب أن يدرسـه الطالب الناشئ بكل عنايـة ، وسـنعلم كيف نحكم على أفعـالنا أحكاماً صائبـة وأن نصحح أخطائنا ، وأن نغـذى عقولنا ، وهذا أمر ليس هيناً وذلك بالعلم بالفكاهات النادرة والفرق المتعددة والأحكام الكثيرة والآراء والقوانين والعـادات ، وسيعرف الإنسـان ما يحسـن العلم به وما يحسن الجهل به وما يجب أن يكون غرض الدراسـة وهدفها " أعلى ٠

ويركز أنصار هذا المذهب على هدف الإعداد للحياة العملية السعيدة الناجحة وعلى عامل الرحـلات والأسفار في تحقيق هذا الهدف ، يجب ألا يعنى بأي حال من الأحـوال أنهم كانوا يحتقرون الدراسات الإنسانية النظرية لأن الواقـع كان غير هذا حيث أننا نجـد لها وجوداً وكياناً في المناهج الدراسـية التي كانوا يقترحونها ، ولكن على أي حال كانوا ينظرون إلى هذه الدراسـات لا على الإنسانيين الضيقي الأفق ولكن على أنها وسـيلة من وسائل التربيـة ترمى إلى تحقيق غايـة ، وهذه الغايـة هي تحقيق الحياة العملية السعيدة الناجحـة ، ومن ناحية أخرى فإننا نجد أن دراستهم للآداب الإنسـانية والدراسـات الحرة كانت دراسـة انتقائيـة وظيفية يختـارون منها ما يسـاعد على تحرير الفرد وينفعـه ويبصره بشئون الحـياة ٠

ونحن إذا ما بحثنا عن أبرز أنصار وممثلي المذهب وممثلي المذهب الاجتماعي الواقعي في القرن السادس عشر فإننا لن نجد أحسن من المربى الفرنسي " ميشـال دى مونتانيى " الذي كان لأفكاره ولأفكار المربين الفرنسيين من قبله : " رامس Ramus " و " رابليه Rabelais " أكبر الأثر في الثورة ضد " النزعة المدرسـية الشكلية وضد أسلوب تربية العصور الوسطى بصورة عامة ، وفى مناصرة روح النهضة في التربيـة الفرنسـية والمناداة

بنـوع من التربيـة الإنسـانية تختلف تمـام الاختلاف عن التربيـة الإنسانية القاصرة الشائعة في عصرهم ٠

٣- المذهب الحسي الواقعي Sense – Realism :

ونحن نقصد بالمذهب الحسي الواقعي ذلك الاتجاه في التربيـة أو الحركـة التربوية التي قويت شوكتها في القرن السـابع عشر بعد أن مهدت لها جهود الإنسـانيين المتحررين وجهـود أنصـار النزعتين الواقعيتين السابقتي الذكر في هذا الفصل والتي تعتبر أكثر إيغـالاً في الواقعـية وأقـرب إلى الروح العلمية الحقيقيـة وإلى روح التربيـة الحديثـة من النزعتين السابقتين ، فقد قامت هذه الحركة على احترام العلوم الطبيعية وعلى استخدام الطريقة العلمية الحديثـة كما أنها احتوت بذور التربيـة الحديثـة التي تبلورت بصورة أوضح وطبقت عملياً على شكل واسـع في القرن العشرين ٠

ومن المبادئ التي تقـوم عليها هذه الحركة الإعلاء من شـأن الحواس ومن شـأن الإدراك الحسي في إكساب المعرفة وفى عملية التربيـة ، فالمعرفة في نظر أنصارها تأتى أولاً عن طريق الحواس ، كما أنهم يرون وجوب بنـاء عملية التربيـة على الإدراك الحسي أو الخبرة الحسـية بدلاً من بنـائها على نشـاط الذاكرة ٠ ويتضمن الإيمان بهذا المبدأ مخالفـة صريحـة لروح التربيـة الإنسـانية التقليدية القائمـة على الحفاظ والدراسـة النظرية ، وقـد جر الإيمان بهذا المبدأ أنصار هذه الحركة التربوية إلى الإيمـان بمبدأ آخر وهو أن الطفل يجب أن يحيط بالفكرة أكثر مما يحـيط بالأسـلوب اللغوي ويجب أن يفهم الشئ قبل أن يعرف الكلمة المعبرة عنه أو بعـبارة أخرى يجب أن يعرف الكلمة بواسطة معرفة الشئ ٠

ومن المبادئ التي تقـوم عليها أيضـاً الاهتمام البالغ بالطبيعـة كمصدر للمعرفـة والحقيقة والاعتقاد بأن التربيـة نفسها هي عملية طبيعية أكثر منها صناعية وأن القوانين والمبـادئ التي يجب أن تؤسس عليها التربيـة يمكن الكشف عنها في الطبيعـة ، والتربيـة في ضوء هذا المبدأ يجب أن تكون قائمة على أسس نفسـية ومتمشـية مع طبيعة الطفل وميوله واستعداداته كما يجب ألا تهدف إلى كبت الطفل أو الضغط عليه بل يجب مساعدة الطبيعة – كما يقـول " ريتشـار ملكاستر " أحد ممثلي هذه الحركة – على إتمام عملها بكمال أعلى ٠

والتربيـة في ضوء هذا المبدأ أيضاً يجب أن تهتم بالنمو الشامل لشخصية الطفل بدلاً من الاهتمام بنموه العقلي الشكلي فقـط كما يجب أن تهتم بأنواع مختلفة من المواد الدراسـية لتتمكن من تحقيق هذا النمو الشامل ، ولتكون عملية التربيـة واقعـية طبيعية أكثر فقـد نادى أنصـار هذه الحركة بوجوب إحلال المواد المستمدة من العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية ومن الحياة

المعاصرة محل المواد الأدبيـة واللغوية المحضة وإحلال اللغـة القومية محل اللغة اللاتينية في تدريس المواد المختلفة لاسيما في السنوات المدرسية الأولى ، وسعياً منهم وراء تسهيل عملية التربيـة فقد نادوا بوجوب استخدام طريقة " الاستقراء Induction " في دراسـة المواد المختلفة بعد أن قويت شوكة هذه الطريقة بجهود بيكون ومن أتوا بعده .

هذه أهم المبادئ التي قامت عليها الحركة الحسية الواقعية في القرن السابع عشر والتي كان لانتشـارها وتدعيمها من بعد ذلك أكبر الأثر في تطـور النظريـة التربويـة في القرون التالية لذلك القرن ٠

ولهذه الحركة كثير من الأنصار والممثلين الذين شرحوا مبادئها ودافعوا عنها في كتبهم من بينهم : " بيكون " و " كومينيوس " ٠

https://www.youtube.com/watch?v=1coZl5m6wIY

فرنسيس بيكون Francis Bacon (١٥٦١ – ١٦٢٦م) :

صورة رقم (١٢) للفيلسوف " فرانسيس بيكون "

ولد " بيكون " في لندن سنة ١٥٦١ في بيت عز ومجد ، إذ كان والده " السير نقولا بيكون Sir Nicholas Bacon " حامل الخاتم الأكبر في خدمة الملكة ، وقد أتيحت له الفرصة أن يدخل " جامعة كمبردج " في سن الثانيـة عشرة من عمره ولكنه خرج منها بعد ثلاث سنوات دون أن يحصل على شهادة منها وفى نفسه ازدراء لما كان يدرس فيها من علوم

عن مذهب أرسطو والمدرسين ، ولقد كان لهذا الاتجاه السلبي الذي كونه نحو الدراسات الجامعية في عصره أثره البالغ فيما كتبه بعد ذلك ، لأن غالب كتاباته كرد فعل للخبرة غير السارة التي مر بها طيلة السنوات الثلاث التي قضاها في جامعة كمبردج ، وبعد خروجه من الجامعة دخل سلك الوظائف العامة لفترة من الزمن ، ولكن نفسه ما لبثت أن حنت إلى الرجوع إلى الدراسة فرجع إليها ، ولكنه اتجه هذه المرة نحو دراسة القانون بدلا من الفلسفة ، وقد استطاع أن يؤهل نفسه للمحاماة ، ثم ينتظم بعد ذلك في سلك المحامين في سنة ١٥٨٢م ، ثم بعد سنتين من اشتغاله بالمحاماة انتخب عضواً في مجلس النواب ، ثم بعد خمس سنين اشتغل بالتدريس في كلية الحقوق ثم عينته الملكة مستشاراً فوق العادة ، وبعد أن آل الحكم إلى الملك جاك الأول استمر " بيكون " في نفوذه لدى البلاط الملكي حتى وصل إلى مركز الوزير الأول سنة ١٦١٨م ٠

وهكذا نلحظ من هذه النبذة البسيطة عن حياة بيكون أنه كان رجل قانون وإدارة وحكم قبل أن يكون رجل علم أو تربية ، ولكن شواغله الدنيوية واهتمامه بمشاكل السلطة والحكم والجاه لم تمنعه من أن يعالج بعض الأفكار الفلسفية ويهتم بإصلاح العلوم وإحيائها على أساس منطق جديد هو المنطلق الاستقرائي كما أن ذلك الاهتمام لم يمنعه أيضاً من الاهتمام بالمشاكل التربوية ومن الاقتراح لحل هذه المشاكل ولإصلاح تربية عصره ٠

ولقد حاول " بيكون " أن يبسط أفكاره العلمية والفلسفية والتربوية في كتبه ورسائله التي ألفها في النصف الأخير من حياته ، ومن أشهر كتبه كتابه الكبير : " التجديد العظيم Great Renewal " الذي كان في نيته أن يخرجه في ستة أجزاء ، ولكن العمر لم يسعفه حتى يتم أجزاء هذا الكتاب كلها ، فقد أتم منها جزأين فقط ٠

وكانت خطته في هذا الكتاب – كما وضع ذلك في مقدمته – أن يقيم هيكلاً ومنطقاً وأسساً وطريقة جديدة للمعرفة والعلم والفلسفة ، تاركاً استخدام تلك المواد والأسس والطرق التي استخدمها الأقدمون من المدرسين والإنسانيين ضيقي الأفق والتي هي في اعتقاده خطيرة وغير مجدية ، وهو لم يرم من وراء خطته هذه أن يتبعها هو فحسب بل لتكون أساساً للجهود الفكرية في المستقبل ولم يقصد بجهوده إلا أن تكون نموذجاً مصغراً لتطبيق هذه الخطة ٠

وقد نشر أول جزء من خطته هذه باللغة الإنجليزية سنة ١٦٠٥م تحت عنوان : " تقدم العلم – Advencement of Learning ، وقد تعرض " بيكون " في هذا الكتاب إلى التعليم الجامعي السائد في عصره فنقده نقداً لاذعاً وقدم بعض الاقتراحات لإصلاحه ، وقد كان من بين الانتقادات التي وجهها إلى التعليم في عصره في الانتقادات التالية : أنه يركز على الدراسات الإنسانية والنظرية وبهمل الفنون والعلوم ، كما أنه لا يهتم بتاتاً أو على الأقل

لا يهتم الاهتمام الكافي بالعمل التجريبي ولا بعمل الأبحاث و " دراسة المشكلات " ، ومن هذه الانتقادات أيضاً أنه عاب على التعليم العالي السائد في عصره تركيزه على بعض الدراسات والقراءات والمناظرات والتدريبات المدرسية التي ليست لها قيمة عملية ولكنها كانت تعطى لقيمتها الشكلية ، وقد ضرب مثلاً لهذه الدراسات الشكلية بمادة المنطق ومادة البلاغة اللتين كان الطلبة يدرسونها دون أن يكون لهم إلمام بالمواد التي يتوقف فهمهم لهما عليها ٠

أما الجزء الثاني من خطته السابقة فقد وضعه باللغة اللاتينية ونشره في سنة ١٦٢٠م ، تحت عنوان : " الأرجانون الجديد أو العلامات الصادقة لتأويل الطبيعة The New Instrument The Novurn Qrganon ، والجديد في هذا الكتاب إذا ما قورن " بأرجانون " أرسطو أنه أكد المنطق الاستقرائي " Inductive Logic " بدلا من المنطق القياسي " Deductive Logic " الذي ركز عليه أرجانون أرسطو ، وقد حاول " بيكون في أرجانونه هذا أن يشرح المبادئ التي يقوم عليها منطقه الجديد وأن يصف بالتفصيل المنهج الاستقرائي الذي يمثل في نظره الجانب الإيجابي لهذا المنطق الجديد ، وهذا الوصف المفصل للمنهج الاستقرائي كان تقدماً حقيقياً للعصر الذي عاش فيه بيكون ولكنه على أي حال لم يفهم الاستقراء الفهم الحديث ٠ فهو يفترق عن أفلاطون وأرسطو والمدرسين ويقف في مرحلة انتقال بين الفلسفة القديمة والفلسفة الحديثة ٠

وكان الجزء الثالث من خطته يتضمن جمع نتائج التجارب الطبيعية تحت عنوان " التاريخ التجريبي للطبيعة " ، وكان الجزء الرابع هو : محاولة وضع خطة عامة للفلسفة الطبيعية ومحاولة بناء تلك الفلسفة من المواد الناتجة من التجارب الطبيعية الخاصة بالطريقة الاستقرائية ، أما الجزأين : الخامس والسادس من خطته وهى بناء الهيكل نفسه فكان من الواجب أن يتضمنا النتائج العملية السابق الحصول عليها ومحاولة صوغ الفلسفة الحقيقة للطبيعة " ٠

وهذه الأجزاء الأربعة الأخيرة وإن كانت موضوعة في أصل خطته فإنه مات قبل أن يتمها ، وفى آخر حياته كتب مثاليته Utopia المسماة : " الأطلنطي الجديد The New Atlantis " ، وقد نُشر هذا الكتاب بعد ثلاث سنوات من وفاة " بيكون " ٠وقد حاول في الفصول الأخيرة من مثاليته هذه أن يصف المعهد المثالي أو الجامعة البحث التي يسميها " بيت سليمان Solaman`s House " وتهدف هذه الجامعة إلى تفسير الطبيعة وإنتاج أعمال عظيمة لخير الإنسانية ٠ وكان ينتظر من هذا المعهد أو الجامعة أن تقوم بأعمال أكثر من التي تقوم بها في الوقت الحاضر الجامعات والأقسام العلمية الحكومية والباحثون من رجال العلم ، وكان تصويره لها بأسلوب علمي لا يزال حتى الآن في عالم الأماني الإنسانية التي لم تتحقق ،

وكان مما تنبأ به " بيكون " من المبتكرات العلمية العظيمة الشأن : ترقية الأجناس من الحيوان والنبات ، وطرائق للعلاج بالحقن بالمصل تحت الجلد ٠ وتحسين المعادن كما في حال الصلب وتحويل مختلف أنواع الطاقة واستخدام الآلة البخارية وتيسير سبل الوصول إلى الأماكن النائية ٠

أثر " بيكون " في الحياة الفكرية

وفى مفهوم التربية ، ومادتها ، وطرقها :

ونحن في تقويمنا للأثر الذي تركه " بيكون " في الحياة الفكرية بصورة عامة وفى مجال التربية بصورة خاصة يجب ألا يغيب عن أذهاننا أن " بيكون " نفسه لم يكن عالماً ولا مبتكراً لقوانين أو طرق علمية جديدة ولا مربياً بالمعنى الصحيح ، فهو لم يشتغل بالعلم وأن كان قد أجرى بعض التجارب العلمية فهي قليلة لدرجة لا تذكر وقد ظل طول حياته قليل الإلمام بمكتشفات القرن الرابع عشر وعصر النهضة جاهلاً بالرياضيات وبما اتخذت من شأن في تكوين العلم الطبيعي ، ومن مظاهر جهلة بالرياضة أنه كان يعترض على دراسة الفلك بالطرق الرياضية مع أن الطرق الرياضية هي خير السبل لدراسة الفلك ودراسة الطبيعة ، ولم يدرك أهمية قوانين " كيبلر Kepler " ولا بحوث " جاليليو Galileo " و " جيلبرت Gilbert " ، فهو كما يقول الدكتور يوسف مراد : لم يكن أكثر تقدماً من سميه " روجر بيكون في القرن الثالث عشر وإنما كانت أفكاره في جملتها أفكار العصر الوسيط المنقولة عن الرواقية والأفلاطونية الجديدة ٠

وفى نظر " فردريك آيبي " أنه من الخطأ الكبير أن نصنف "بيكون " بين الفلاسفة البنائيين أو نعده المكتشف الوحيد للعلم الحديث ، فقد كان مشغولاً باهتماماته الأخرى عن إحاطة نفسه إحاطة صحيحة بالتقدم العلمي في أيامه ، ومعرفته بالتربية كانت مفقودة تقريباً ٠

" فبيكون " لم يقدم أي شئ جديد للعلم ، وليس هناك أي اكتشاف مهم يمكن أن ينسب لتطبيق المبادئ والقواعد التي وضعها طريقته معيبة منطقياً ، فقد عارض نظرية " كوبرنيكس " ٠ ولم يكن لهم فهم لعمل " وليام جيلبرت " ، ولم يكن اهتمام بالرياضة التي تعتبر أعظم أداة للعلم البحت ولكن بالرغم من أن غالب اهتمام " بيكون " في أول حياته كان منصباً على الأمور السياسية ، وبالرغم من الانتقادات التي وجهت لفلسفته العامة ولمفهومه العلمي ولطريقته التي نادى بها ، فإن أحداً لا ينكر أنه استطاع في النصف الأخير من حياته أن يخصص جزءاً من وقته وجهده للكتابة والدعوة إلى إصلاح حال الفلسفة والعلم والتربية في عصره ، ومهما كان مقدار عمق وصحة الأفكار التي نادى بها ومقدار جدتها ، ومهما كانت

قيمتها العملية ، فإنها أحدثت – من غير شك – تأثيراً أكبر في أفكار معاصريه من الفلاسفة والعلماء والمربين وفى أفكار الذين أتوا بعده منهم ، فقد استطاع أن يكشف النقاب عن كثير من العيوب في الطرق التي كانت متبعة في البحث العلمي في أيامه ، وفى تربية عصره وأن يمهد بطريقته الاستقرائية وأفكاره الأساس لمن أتوا بعده من الفلاسفة والعلماء والمربين فيزيدوا من تحسينها وتطويرها ويحاولوا تطبيقها ٠

ومن هنا – في نظرنا – جاءت قيمة " بيكون " في مجال التفكير الفلسفي العام وفى مجال التفكير التربوي ، واعتبر ضمن قادة الحركة الواقعية في الفلسفة والتربية على السواء.

أفكاره العامة :

ومن أفكار " بيكون " الرئيسية التي تقوم عليها فلسفته العامة وطريقته والتي كان لها تأثيرها في التفكير الفلسفي والعلمي والتربوي هي الأفكار الثلاثة الرئيسية التالية :

١- قد آمن بأن الفلسفة والعلم والحياة العقلية بصورة عامة يجب أن يكون لها هدف عملي نفعي ، وأن التربية تعتبر في نظره طريقة من طرق الفلسفة في تحقيق أهدافها فإن ما ينطبق على الحياة الفلسفية بوجه عام ينطبق على طريقتها ، والسبيل في نظره لجعل الحياة الفلسفية أو العلمية نافعة هو أن تبنى على أساس جديد وهو الطبيعة ٠

فالمعرفة العملية ينبغي أن تؤخذ من دراستنا المباشرة للطبيعة لا من دراسة مظاهر الحياة العقلية التي شغلت الفلاسفة منذ عصر قدماء الإغريق ، وعماد الفلسفة الجديدة هو الطبيعة ، لا علم الأخلاق ، ولا فلسفة ما وراء الطبيعة التي اتخذتها المذاهب الفلسفية السابقة أساساً لمباحثها٠

وفى دراستنا هذه للطبيعة ينبغي – في نظر " بيكون " أن يكون اهتماماً ليس مجرد حب الاستطلاع لمعرفة كنه الطبيعة وقوانينها وأسرارها أو مجرد الرغبة في كسب المعرفة لذاتها ، ولكن الرغبة في السيطرة على قوى الطبيعة وتسخيرها في خدمة البشرية وخيرها ٠

٢- في نظره أن هناك بعض العقبات التي قد تحول بين العقل البشرى وبين إدراكه للحقيقة إدراكاً موضوعياً دقيقاً ، وبالتالي تمنع من تقدم المعرفة والعلم ، وقد أطلق على هذه العقبات أسم الأصنام أو الأوهام " Idols " وقسمها إلى الأقسام الأربعة التالية :

أولاً : أوهام القبيلة :

وهى تلك الأوهام أو العقبات أو مظاهر القصور الدفينة في الطبيعة البشرية ، وذلك لأن الكائن البشرى محدود في طاقته وقدراته ، ومن مظاهر هذا القصور والمحدودية هو أن حواسه ، سواء أكانت حاسة البصر أو حاسة السمع أو غيرهما – محدودة في مدى إدراكها

بحدود المكان وبالظروف المحيطة بالموقف الإدراكي ، وكذلك بالنسبة لقدراته العقلية لا تستطيع أن تستوعب أو تدرك اللامحدود ، بل هي الأخرى محدودة في إمكانية إدراكها ٠

ثانياً : أوهام الكهف :

وهى تلك الأوهام والميول الشخصية الخاصة بالفرد التي قد تحول بينه وبين الإدراك الموضوعي الدقيق للحقيقة

ثالثاً : أوهام السوق :

وهى تلك الصعاب والعقبات التي تحول دون الوصول إلى معرفة الحقيقة ، وترجع هذا الصعاب إلى العادات والتقاليد الاجتماعية وما يتبعه الإنسان في علاقاته الاجتماعية ، وإلى قصور وسائل الاتصال اللغوي ٠

رابعاً : أوهام المسرح :

وهى تلك العقبات التي تنتج من المسلمات أو العقائد الدينية أو الفلسفية التي يؤمن بها الشخص والتي قد تعميه عن رؤية الحقيقة في النظريات والفلسفيات الأخرى النائية٠

هذه هي العقبات الرئيسية التي تحول دون الإدراك الموضوعي الدقيق للحقيقة ، وعلى الباحث – في نظره – أن يستخدم الطريقة التي تخلو بقدر الإمكان من هذه العقبات والشوائب والأوهام ٠

٣- لقد رأى أن أنسب الطرق وأصلحها لدراسة الطبيعة والعلوم التجريبية هو المنهج الاستقرائي التجريبي الذي يعتمد على ملاحظة الظواهر أو الوقائع وإجراء التجارب عليها ثم استخلاص القانون العام الذي تخضع له ، ويسير المنهج الاستقرائي في ثلاث مراحل رئيسية هي :

أ- مرحلة البحث التي تقوم على الملاحظة والتجربة ٠

ب- مرحلة الكشف أو الفرض ٠

ج- مرحلة تحقيق الغرض٠

وهو إذًا يُعلى من شأن المنهج الاستقرائي في دراسة الطبيعة ولا ينكر أهمية المنهج القياسي إطلاقاً ، بل يعترف به في ميادين أخرى للمعرفة وذلك كالعلوم اللاهوتية والدينية ٠

والقيمة التي تكمن في الطريقة الاستقرائية – في نظره – هي أن أي شخص له من الصبر والأناة وحسن الفهم ما يمكنه أن يستعملها في اكتشاف المعارف الجديدة ، وبهذا يصبح في مقدور كل إنسان أن يدرس الطبيعة ٠

هذه هي أهم النقاط والأفكار التي تقوم عليها فلسفة " بيكون " العامة والتي كان لها أكبر الأثر في التفكير الفلسفي والعلمي وفى مناهج البحث في القرون اللاحقة لقرنه ، حتى أصبحت الآن العلوم الطبيعية والطرق الاستقرائية والتجريبية تحتل المقام الأول في مناهج الدراسة وفى طرق البحث ، وإذا كان المنهج الاستقرائي قد خطا خطوات واسعة النطاق منذ كتابة " بيكون " لأرجانونه الجديد " – فإن الفضل دائماً يرجع إلى بيكون الذي نادى بوجوب استعمال المنهج الاستقرائي في دراسة الطبيعة ووضع أسسه في وقت كانت الغلبة فيه للمنهج القياسي ٠

تأثيره في المجال التربوي :

وفى الواقع إن تأثير مثل هذه الأفكار لم يقتصر على التفكير الفلسفي والعلمي فقط بل تعداه إلى التفكير التربوي وإلى النظرية التربوية ، فمن غير شك أن " بيكون " استطاع أن يؤثر في مفهوم التربية وأهدافها ومناهجها وطرقها بأفكاره الفلسفية العامة وبجهوده في تقدم الفلسفة والعلم من ناحية ، وبأفكاره الخاصة في التربية وباقتراحاته التي كان يتقدم بها لحل بعض المشكلات التربوية ولإصلاح شئون عصره من ناحية أخرى ، وإذا كان " بيكون " نفسه لم يطبق فلسفته وطريقته في المجال العلمي للتربية – فإنه قد أتى بعده من المربين من أمثال ولفينج راتك " Welfgang Ratick " و " دون آموس كومنيوس " وغيرها من حاول تطبيقها في المجال التربوي ٠

ومن مظاهر التجديد الذي أحدثه في مفهوم التربية وأهدافها أنه كان يرى أن التربية يجب أن تكون وسيلة لتحقيق أغراض عملية نفعيه ، بدلًا من أن تكون وسيلة لتكديس المعلومات وحشو ذهن التلميذ بالنظريات وبالمعلومات النظرية التي لا صلة لها بالهيئة المحيطة به ولا بالواقع الذي يعيش فيه ، والغرض الذي يجب أن تسعى التربية لتحقيقه هو تمكن الإنسان من فهم أسرار الطبيعة وتسخيرها لخير البشرية وتقدمها ، ولا سبيل في نظره لجعل التربية نافعة إلا ببنائها على أساس جديد وهو الطبيعة ، وهو يرى كما يرى المربون المحدثون أن التربية يجب أن تسعى لتحقيق النمو الكامل المتكامل لشخصية الفرد ٠

وبالنسبة لمنهج الدراسة فإن تجديد " بيكون " وتأثيره قد أتيا عن طريق نقده للدراسات الإنسانية والعلوم المدرسية التي لا ترمى إلا لتكوين القدرة اللغوية والقدرة المنطقية الشكلية ، وعن طريق مناداته بتركيز المناهج على دراسة الطبيعة وواقع المجتمع ، وحسب هذا المبدأ فإن الموارد العلمية يجب أن تحتل المركز الرئيسي في المناهج الدراسية ،

لأن دراسة هذه المواد هي التي تؤدى إلى المعرفة النافعة ، معرفة الطبيعة ، فهذه المعرفة هي التي تؤدى إلى القوة البشرية وإلى تقدم المجتمع وازدهاره صناعياً واقتصادياً ٠

وأما بالنسبة لطرق التربية فإن تجديد " بيكون " وتأثيره يمكن أن يتجليا في الطريقة الاستقرائية التي نادى باستخدامها وشرح أسسها وخطواتها والتي جاءت مناسبة لمفهومه للهدف التربوي وللمناهج الدراسية ، و " بيكون " وإن لم يقم هو نفسه بتطبيق الطريقة الاستقرائية في المجال العلمي للتعليم فإنه قد أتى بعده من أمثال " كومنيوس " و " راتك " من أخذ عنه هذه الطريقة وحاول تطبيقها عملياً في ميدان التعليم ٠

https://www.youtube.com/watch?v=XH1214l1MS8

أسئلة تقييميه حول الفصل السادس

١- حدد أهم العوامل التي أثرت في تطور مفهوم التربية وأهدافها في القرن السابع عشر؟

٢- وضح أهم المذاهب التربوية التي ظهرت في تلك الحقبة ؟

٣- إلى أي مذهب تربوي ينتمي الفيلسوف " فرانسيس بيكون " ؟

٤- قارن بين أوهام القبيلة والكهف عند " بيكون " ؟

٥- قارن بين أوهام السوق والمسرح عند " بيكون " ؟

٦- وضح تأثير " بيكون " في المجال التربوي ؟

الفصل السابع
التربية في القرن الثامن عشر

ويتضمن العناصر التالية :

١- مقدمة

٢- آراء الفيلسوف " روسو " التربوية

٣- إيجابيات فلسفة روسو التربوية

٤- سلبيات فلسفة روسو التربوية

أهداف الفصل السابع

بعد أن تنتهي من دراسة هذا الفصل، يتوقع منك أن تصبح قادرًا على

١- تحدد أهم الفلسفات التي سادت في تلك الحقبة التاريخية.

٢- تحدد أهم المبادئ التربوية التي اشتمل عليها كتاب " إميل " للفيلسوف " روسو " .

٣- تحدد أهم الكتب التربوية الجزئية التي اشتمل عليها كتاب " إميل " للفيلسوف " روسو ".

٤- تحدد أهم إيجابيات فلسفة " روسو " التربوية .

٥- تحدد أهم سلبيات فلسفة " روسو " التربوية .

الفصل السابع
التربية في القرن الثامن عشر
الحركة الطبيعية

مقدمة

يطلق على هذا القرن الثامن عشر عصر التنور ، وهو العصر الذي شهد قمة انتصار العقل على السلطات الأخرى في توجيه حياة الإنسان ، حيث فقدت الكنيسة الكاثوليكية الرومانية سلطتها على التعليم وأصبحت التربية من مهام الكنائس القومية ، وحل الفلاسفة التربويون محل الرهبان المربين في القرن السابع عشر ، وآمن مفكروا هذا العصر بأن وظيفة التربية هي تكوين المواطن العلماني لا الديني ، ومن ثم بدأ مفهوم التربية العلمانية من أجل المواطنة ينمو وخاصة في فرنسا مركز حركة التنوير ، ولقيت الدعوة إلى تعميم التعليم للشعب ووضعه تحت مسئولية الدولة التأييد من جانب المهتمين بأمور التربية ومفكري هذا العصر ، الذين نادوا بإنشاء نظام تعليمي عام وإجباري للفقراء والأغنياء على السواء ، كما بدأ في هذا القرن الاهتمام بإعداد المعلمين إعدادا خاصاً ومنحهم شهادات تسمح لهم بممارسة مهنة التدريس وكان يشترط فيهم احترام قانون الدولة والتعاليم الدينية القومية .

كانت الاستنارة قمة النهضة التي بدأت في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، والتي اهتمت بالإنسان وحريته في التفكير والعمل ، كما كانت رد فعل ضد النظم التسلطية دينية وسياسية فمنذ عصر النهضة أصبح الإنسان محور الدراسة التي تقوم عليها التربية ، وبدأ الاهتمام بإحياء الفنون والآداب القديمة اليونانية والرومانية لتطوير حياة الإنسان في عصر النهضة ، ولكن هذه الدراسة تحولت إلى الشكلية وفقدت المعنى والمضمون والهدف الذي نشأت من أجله وحاولت الواقعية أن تحرر التربية من هذه الشكلية وأن توجه اهتمام التربية إلى واقعيات الحياة وإلى دراسة العالم المادي الطبيعي بما في ذلك الإنسان كجزء من هذا العالم ، هذه الدراسة تقوم على استخدام العقل ، والمنهج العلمي بدلا من اللجوء إلى الكلاسيكيات والغيبيات ، ولكن هذه التربية برغم دعوتها لتحري العقل البشري من القيود التي فرضتها عليه العصور الوسطى ظلت تربية أرستقراطية لم تحقق أهدافها إلا في نطاق فئة محدودة من المجتمع ، وانتهت إلى تكوين صفوة جديدة كما سبق القول .

ثم جاءت الحركة الطبيعية في القرن الثامن عشر لتمثل فترة إحياء جديدة ليس في الفكر التربوي وحسب ولكن في الفكر الاقتصادي والسياسي والاجتماعي كذلك.

يؤمن المذهب الطبيعي بحقوق الفرد ، ويرفض السلطة المطلقة للدولة والسلطة العقائدية للكنيسة ، ويثور على الأرستقراطية بأنواعها المختلفة أرستقراطية المولد والنفوذ وأيضاً أرستقراطية العقل ، ويدعو إلى العودة إلى الحالة البسيطة التي تحكمها المشاعر الطبيعية٠

وتعنى التربية وفقا للاتجاه الطبيعي ما يأتي :

١- اكتشاف وصياغة وتطبيق قوانين الطبيعة على العملية التربوية ٠

٢- أن تقوم التربية على دراسة طبيعة الطفل ، وطبيعة النمو البشرى والقوانين التي يسر عليها هذا النمو ٠

٣- تعنى التربية وفقاً للطبيعة بالعودة إلى الطبيعة كنقيض لكل ما هو صناعي ، وخاصة ما كان شائعا لدى الطبقات الارستقراطية في المجتمع من تقييد لحرية المتعلم ومعاملته معاملة الكبار ، والاعتماد على المربيات والمدرسين الخصوصيين مما يعوق النمو الطبيعي للطفل ويحد من تلقائيته ، بينما تعنى التربية الطبيعية العودة إلى الحياة البسيطة الموجودة لدى البسطاء من الفلاحين وإلى التربية الطبيعية لأبنائهم ٠

هكذا كان اهتمام الحركة الطبيعية بما هو كائن أكثر من الاهتمام بما ينبغي أن يكون ، والاهتمام بالحاضر أكثر من الإعداد للمستقبل ٠

ويعتبر " جان جاك روسو " رائد الحركة الطبيعية في التربية كما مثلت آراؤه وكتاباته عن الحكومة والمجتمع والدين والزواج ثورة على الأفكار السائدة في عصره ، ويهمنا هنا أن نتناول تأثيره على التربية بشئ من التفصيل ٠

آراء روسو التربوية (١٧١٢ -١٧٧٨) :

صورة رقم (١٣) للفيلسوف " جان جاك روسو "

عرض روسو آراءه في التربيـة في مؤلفه الشهير " إميل " الذي ظهر في عام ١٧٦٢ والذي ضمنه الطريقة المثـلى من وجهة نظره – لتربية الطفل وفق الطبيعة ، كما كان هذا المؤلف ثورة ضد التربيـة التي سـادت عدة قرون وأهملت طبيعة المتعلم وركزت كل همها على الكتاب وجعلته محور التعـليم .

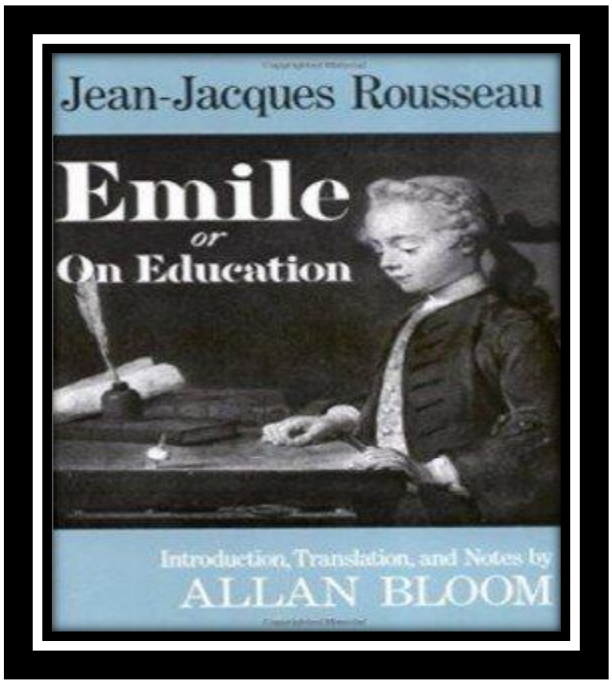

صورة رقم (١٤) كتاب إميل أو التربية

تسيطر على كتاب أميل كله بعض المبادئ العامة هي :

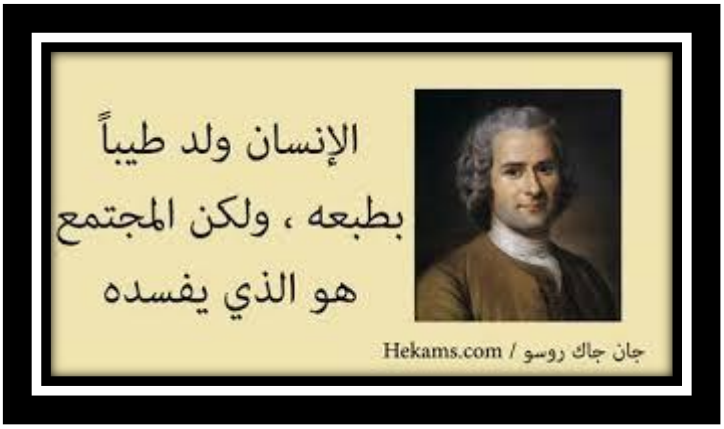

صورة رقم (١٥) تعكس مبدأ إميل في براءة الطفل التامة

١- **مبدأ براءة الطفل التامـة :** إذ يبتدئ كتاب " إميل " بهذه العبارة الشهيرة له " كل ما خرج من بين يدي خالق الأشياء حسن وخير ، وكان شئ يفسد بين يدي الناس " ، هذه العـبارة تعكس إيمانه بالطبيعة الخيرة للطفل ، وأن مصدر الانحراف والشر في النفس البشرية هو

الأثر السيئ للمجتمع ، وهى نظرة متفائلة في مقابل تلك النظرة المتشائمة التي كانت ترى أن الإنسـان حامل للخطيئة وأن الطفل كائن شرير قبل أن يولـد ٠

٢- **مبدأ التربيـة الطبيعية الإنسانية :** وهى التربية التي يترك فيها الطفل حراً ، يعتمد على نفسـه في اكتساب الخبرات من الطبيعة التي هي الأخرى في نظر روسو خيرة ، مع حمايتـه من أي تدخـل خارجي يمكن أن يعوق نمو ملكاته نمواً حراً ٠

٣- **مبدأ النشاط الذاتي للمتعلم :** والتقليل من الاعتماد على الغير في تحصيل المعرفـة والرجوع إلى الخبرة الشخصية ، ويرتبط بهذا المبدأ الفرديـة في التعلم والاعتماد على الاكتشاف الشخصي للحقائق ومواجهة الواقـع ٠

٤- **مبدأ النمو :** وهو أحـد الأسس النفسـية الهامة التي قدمتها الحركة الطبيعية ، ويعنى به روسو تحرير طبيعة الطفل من عقالها ، والسماح لهذه الطبيعة وما تحمله من قوى وميول بالنمو ، والسماح أيضاً للطفل باختيار ما يروقـه من ألوان النشـاط بأقل تدخل أو إشراف ممكن ، أي أن التربيـة الحقيقة لدى روسو هي التربيـة السلبية وهى التي تهدف إلى كمال أعضاء الجسم ووسـائل المعرفة قبل تقديم المعرفـة مباشرة ، والتي تقـوم على تدريب الحواس تدريباً صحيحاً قبل اللجوء إلى طريق العقـل ٠

٥- **مبدأ العقـاب الطبيعي :** ويقصد به أن يترك الطفل يعانى ما يترتب على أفعـاله من نتائج ضارة ، وذلك بدلا من اللجـوء إلى طريق التوبيخ والعقوبة البدنيـة لحفظ النظام المدرسي.

وبرغم ما اتسمت به المبادئ من مثـالية وإغراق في الخـيال ، بل وتناقض وتطرف أحياناً أخرى ، إلا أنها قـدمت الأساس الذي قامت عليه إصلاحات الحركات الاجتماعية والنفسية فيما بعد ، كما أن الكثير منها مازال يحظى بالتقدير وخاصـة بعد تطور الدراسـات النفسية وبعـد نشـوء علم نفس الطفل الذي أيـد الكثير من مبادئ التربيـة الطبيعية لدى روسو ٠

<u>تربيـة اميل :</u>

ينقسـم الكتـاب إلى خمسة أجزاء ، الأول والثاني يتحدثان خاصة عن الطفل وعن مرحلة النمو الأولى من الميلاد حتى سن الثانيـة عشرة ، ولا يتطرقـان إلا لتربيـة البدن وتدريب الحواس ، والكتاب الثالث يتحدث عن مرحلة التربيـة العقلية من الثانيـة عشرة إلى الخامسـة عشرة ، والكتاب الرابع يدرس التربيـة الخلقية من الخامسة عشرة إلى العشرين ، والكتـاب الخامس أخيراً يعرض لتربيـة المرأة وفيه تشـتد روح روسو الخياليـة ٠

الكتاب الأول : من الميلاد حتى سن الخامسة :

تتميز تربية أميل في هذه المرحلة بالعناية بالنمو وتدريب الحواس ، ومنح الطفل الحرية في الحركة والتخفيف من الملابس ، وعدم المغالاة في التدليل ، وعدم التعجل في تعلم النطق والمشي ، هذه التربية ينبغي أن تتم بعيداً عن المدن وضجيجها ، في الريف حيث الطبيعة البسيطة الهادئة ٠

الكتاب الثاني : من الخامسة حتى سن الثانية عشرة :

وهنا يقتصر دور المربى على توجيه أميل إلى الطبيعة ووضعه على بداية الطريق التي تؤدى إلى الاكتشافات الضرورية في قلب الطبيعة الرحب ، وأن يهيئ له المشاهد الطبيعية التي تحل محل الدروس ، دور المربى هنا يكاد يكون سلبياً ، في هذه الفترة أيضاً تستبعد جميع التمرينات الفكرية المعتادة ، فيستبعد التاريخ ، واللغات والجغرافيا والآداب ومطالعة الخبرات من العالم الخارجي أو من الطبيعة ٠

الكتاب الثالث : من سن الثانية عشرة حتى الخامسة عشرة :

تغطى هذه المرحلة ما نطلق عليه طور المراهقة ، وهى الفترة التي خصصها روسو للنشأة العقلية الحقة ، حيث ينتقى روسو لأميل الدراسات ذات المنفعة حتى ينمو فيه مبدأ عدم الانقياد الأعمى للأفكار ، كما تنمو فيه روح المبادأة ، هذه الدراسات تتكون من العلوم الطبيعية أساساً وعلى رأسها الفلك والجغرافيا التي لا تدرس عن طريق الخرائط بل عن طريق الرحلات والأسفار ، أما النحو واللغات القديمة فلا مكان لها بين الدراسات التي يتلقاها أميل وكذلك التاريخ الذي يتعرض لدراسة المجتمع وهو مصدر الفساد لطبيعة أميل الخيرة ٠

وتستمر هذه النزعة السلبية والتي يستحيل تطبيق مبادئها أحيانا في تربية أميل وغيره من الأطفال ، فنرى روسو يستبعد الكتب ويرى عدم الإكثار من استخدامها ، بل يريد ألا يعلم أميل حتى الخامسة عشرة أي كتاب ، والكتاب الوحيد الذي نال رضاه هو كتاب " روبنسون كروز " الذي تشبه تربيته بتربية أميل الطبيعية فكلاهما يكتفى بذاته ويستغنى عن المجتمع ، وتتضمن تربية أميل في هذه الفترة التدريب على مهنة يدوية يتكسب منها عيشه ٠

الكتاب الرابع : من سن الخامسة حتى سن العشرين :

موضوع هذا الكتاب التربية الخلقية والدينية التي يتعلمها أميل بإتباع الطرق العلمية الصادرة عن خبرته حينما يتصل بالناس ، وعن طريق القدوة الحسنة التي يجدها في

سير أبطال التاريخ ، فعلى أميل أن يزور المستشفيات والسجون وأن يشاهد الأمثلة الملموسة للبؤس ، وأن يتعرف على البخلاء والمنافقين ، عن طريق هذه الوسائل تنمو في نفسه كما يرى روسو – عواطف المحبة والشفقة والإحسان ٠

أما التربية الدينية والتي يرجئها روسو حتى سن السادسة عشرة أو الثامنة عشرة ، فإن روسو يعتقد أن إعطاء الأطفال فكرة عن الإله وهم صغار قد تؤدي بهم إلى الوقوع في الوهم لما يتمتع به في هذه السن من خيال مرهف ، ومن ثم يصعب عليه النجاة من هذا الوهم في الكبر عندما ينضج فكرة ويصبح قادراً على أن يدرك فكرة الله إدراكاً حقيقياً خالصاً من دين موصى به أو مُنزل على نبي أو رسول ، وكان روسو يفضل تفسير الحياة على أساس طبيعي يعتمد على الاعتقاد بالله وإنكار الوحي والأنظمة الدينية ، كما عارض تدريس الأشكال الطقوسية والشعائر ، ورأى أن الدين بالنسبة للإنسان الطبيعي مسألة قلب أكبر من كونها مسألة عقل ، وقد جلب عليه هذا الاتجاه نحو الدين اللوم العام ومعارضة الكنيسة سواء أكانت كاثوليكية أم بروتستانتية ٠

الكتاب الخامس : تربية المرأة :

صورة رقم (١٦) لرأي روسو في المرأة

وهو أضعف أجزاء الكتاب ، يعرض فيه روسو لتربية المرأة التي سيتزوجها أميل ، غير أن أراء روسو لم تكن في هذا الصدد ، فالمرأة عنده ليست لها شخصية وواجبها إرضاء الرجال وحياتها ككل مكملة لحياة الرجل ، وأهم ما يجب أن تتضمنه تربيتها هو التدريب البدني لكي تكون قوية البنية تحمل أطفالاً أقوياء ، وتتعلم الغناء والرقص والتطريز

لكي تكون قادرة على إسعاد الرجل وراحته ، كما يجب أن تتلقى التربية الأخلاقية التي تجعل منها أما صالحة للأبناء ، أما التدريب العقلي فلا ضرورة له فهي لا تفكر لنفسها ٠

ويحق القارئ أن يتساءل بعد هذا العرض لمراحل تربية أميل عن المؤسسات التي سيوكل إليها مهمة تنفيذ هذا البرنامج ، حيث نجد أنه طبقاً للنظرية الطبيعية في التربية التي يقدمها روسو ويتبناها ويدعو لها بحماس ، تأتى الأسرة في مقدمة الوكالات التربوية ، وأكثرها تأثيراً في الفرد ، فالتربية تبدأ بالضرورة من الأسرة على يد الأب والأم وهما المعلمان الطبيعيان للأبناء ، ثم تتحول إلى السلطات العامة ، حيث يتولى المعلمون تربية الأبناء حتى سن الخامسة والعشرين ، ولكن وفقاً لقوانين الطبيعة بمعنى أنهم مجرد منفذين أو سائل تنفيذ أهداف وبرامج النظرية الطبيعية ، وحيث أن أميل كان يتيما كما كان سليل الثروة والارستقراطية فقد نصح روسو بأن يتولى " المربى " أو المؤدب تربية أميل على أن يكون مخلصا في عمله متقيداً بقوانين الطبيعة ولا يكون الطفل عند مولده تلميذا للمؤدب ولكنه يكون تلميذا للطبيعة والمؤدب هو مجرد دارس لهذا المدرس الأول ويمنع مجهوداتها من أن تكون مخيبة ٠

ويمكن أن نقول في النهاية أن مصادر التعليم لدى روسو هي أساسا الطبيعة والأشياء والإنسان ، والتربية الكاملة لابد وأن تستمد مادتها من هذه المصادر ، وينتقد روسو التربية السائدة في عصره لأنها اقتصرت على الإنسان والأشياء كمصادر لها وتركت أو أهملت الطبيعة كمصدر هام

ولا شك أن هذه الفلسفة الطبيعية كما عبر عنها روسو في مؤلفه أميل لا تخلو من نقاط ضعف واضحة برغم ما قدمته من إضافات إيجابية في مجال الاهتمام بتربية الطفل

ولنتعرف أولاً على الإيجابيات في فلسفة روسو التربوية :

١- التأكيد على أهمية الخبرة المباشرة والتعلم عن طريق الحواس وخاصة في الطفولة المبكرة ، واستبعاد الأفكار والمفاهيم المجردة التي يصعب على الطفل استيعابها في هذه السن .

٢- الاهتمام بميول الأطفال ومراعاة مراحل النمو المختلفة ، والمطالبة بتربية تدريجية تساير في مطالبها المتتابعة تطور القوى النفسية ونموها ، بينما كانت التربية التقليدية القديمة تعامل الطفل معاملة الكبار وتفرض عليه طريقة التفكر التقليدية وطرق العمل العادية ٠

٣- الاهتمام بالجانب الوجداني في عملية التعلم ، فنمو الفرد واكتمال أعداد الشخصية لا يقتصر فقط على الجانب المعرفي الفكري ، وإنما لا بد وأن يشمل المشاعر والوجدان لكي يتحقق النمو السوي ٠

٤- الثقة بالحواس كمصدر للمعرفة ، وتأكيد مبدأ النشاط الذاتي من جانب المتعلم والخبرة المباشرة ٠

٥- احترام العمل اليدوي ، والتأكيد على ضرورة تعلم مهنة معينة وربط هذا الهدف التربوي ببعض الغايات الاجتماعية بل الاشتراكية إذ يرى أن العمل واجب لا يستطيع أي إنسان الفرار منه ، والمواطن العاطل عن العمل غنياً كان أو فقيراً مواطن مراوغ ومنافق ٠

٦- جعل الطفل محور العملية التربوية وإحلال مبدأ الاهتمام بدلا من مبدأ الجهد ، حيث يرى روسو أن نجاح التربية مرتبط بمقدرتنا على استمالة الطفل وتحريك دوافعه للتعلم أكثر من كونه مرتبطاً بمدى ما نبذله من جهد للتغلب على الصعاب في نقل المعرفة إلى ذهنه ٠

هذه الايجابيات والإضافات كانت بمثابة ثورة ضد ما كان سائداً في ذلك الوقت من أفكار تربوية ، ثورة في المفاهيم التربوية عن الطفل ، وعن خصائص النمو ، وعن المادة ، وعن الطريقة ، وقد تركت هذه الآراء أثراً كبيراً في الاتجاهات التربوية في القرون التالية لعصر روسو ، حيث مهدت للحركة النفسية والحركة الاجتماعية العلمية ، الأولى اهتمت بطرق التدريس ، والثانية اهتمت بالمناهج ومحتواها ، كما ظهر الاهتمام بدور البيئة في عملية التربية ٠

<u>ولا تخلو آراء روسو من الخيال والمغالاة والتناقض أحياناً ويظهر ذلك واضحاً في :</u>

١- التناقض الذي يقع فيه عندما يرى أن تتم تربية أميل في عزله عن المجتمع ، بعيداً عن مؤثراته حتى يظل محتفظاً بنقائه وخيريته ، ثم يعود فيؤكد دور الأب والأم والمعلم وهم وسائط المجتمع في التربية ، كما يبعث بإميل مع زملائه لحضور الحفلات والمباريات٠

٢- يضع روسو الطبيعة موضع العداء للثقافة وهذا خطأ واضح ٠

٣- يثور روسو على المدنية وعلى الضوابط الاجتماعية ، ولكن كيف يتسنى لأميل أن يعيش في المجتمع وهو يجهل هذه الضوابط ؟ ولهذا يرفض روسو تدريس العلوم الاجتماعية حتى سن الخامسة عشرة ٠

٤- إهمال الكتب المدرسية كوسيلة فعالة لا غنى عنها في عملية التعلم إلى جانب الخبرات المباشرة التي دافع عنها روسو ، فالكتاب المدرسي هو حصيلة خبرات البشرية المتراكمة ومن ثم لا يمكن إغفاله ٠

٥- فكرة الجزاء الطبيعي أو العقاب الطبيعي كما يصورها روسو لا تخلو هي الأخرى من الخطأ ، إذ كيف يترك الطفل ليعرض نفسه للهلاك لمجرد أن يعرف نتائج أفعاله ، ثم كيف

يتسنى له أن يدرك نتائج أفعاله في مرحلة مبكرة هو فيها غير قادر على ربط المقدمات أو الأسباب بالنتائج ، ثم أن نتائج هذه الأفعال قد تتعدى الفرد إلى المجتمع أي قد تلحق الضرر بالآخرين ٠

٦- آراء روسو في تربية البنت آراء متطرفة لا يمكن الأخذ بها ٠

وهكذا كانت تربية روسو كما أرادها تحريراً للإنسان والجنس البشرى من قيود المجتمع المتكلفة ، ومن قيود السلطة البشرية ، ومن قيود النظام الاجتماعي ، الذي لا يحقق العدالة والمساواة لأفراده ، وهو بذلك لا يريد أن يلغى دور المنظمات الحضارية ولكنه يريد من هذه المؤسسات كالكنيسة والدولة والأسرة والمدرسة أن تتغير لتحقق للفرد مزيداً من تأكيد الذات ومن الحرية الشخصية من خلال التعاقد الاجتماعي المتبادل ، والذي يحقق للجميع مزيداً من الحماية والتعاون دون أي فقدان للحرية الشخصية ٠

https://www.youtube.com/watch?v=dYxAwqXVgbw

أسئلة تقييميه حول الفصل السابع

١- حدد أهم الأسس التي تقوم عليها الفلسفة الطبيعية؟

٢- حدد أهم المبادئ التي اشتمل عليها كتاب " إميل " للفيلسوف " روسو "؟

٣- حدد أهم الكتب الفرعية التي اشتمل عليها كتاب " إميل " للفيلسوف " روسو "؟

٤- حدد أهم إيجابيات فلسفة " روسو " التربوية ؟

٥- حدد أهم سلبيات فلسفة " روسو " التربوية ؟

المراجع

١- أحمد إسماعيل حجي (١٩٩٦) : **التعليم في مصر ماهيته وحاضرة ومستقبله** ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

٢- سعيد إسماعيل على (٢٠٠٢) : **نشأة الفكر التربوي وتطويره** ، عالم الكتب ، القاهرة.

٣- عبد الله زاهي الرشدان (٢٠٠٢) : **تاريخ التربية** ، دار وائل للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن .

٤- مجدي محمد يونس (٢٠٠٥) : **تاريخ التربية والفكر التربوي من العصور البدائية حتى القرن العشرين** ، مكتبة الرشد ، الرياض .

٥- محمد فوزي عبد المقصود (٢٠٠٦) : **الفكر التربوي للأستاذ محمد عبده وآلياته في تطوير التعليم** ، دار المطبوعات الجديدة ، الإسكندرية .

٦- محمد منير مرسي (٢٠٠٣) : **تاريخ التربية في الشرق والغرب** ، عالم الكتب ، القاهرة .

٧- مريم محمد إبراهيم الشرقاوي (٢٠١١) : **تاريخ التربية في العصور القديمة** ، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

٨- مصطفى أمين (٢٠١٩) : **تاريخ التربية** ، وكالة الصحافة العربية ، القاهرة .

٩- مصطفى متولي (١٩٨٣) : **القوى المؤثرة في النظم التعليمية** ، دراسة مقارنة ، دار المطبوعات الجديدة ، الإسكندرية .